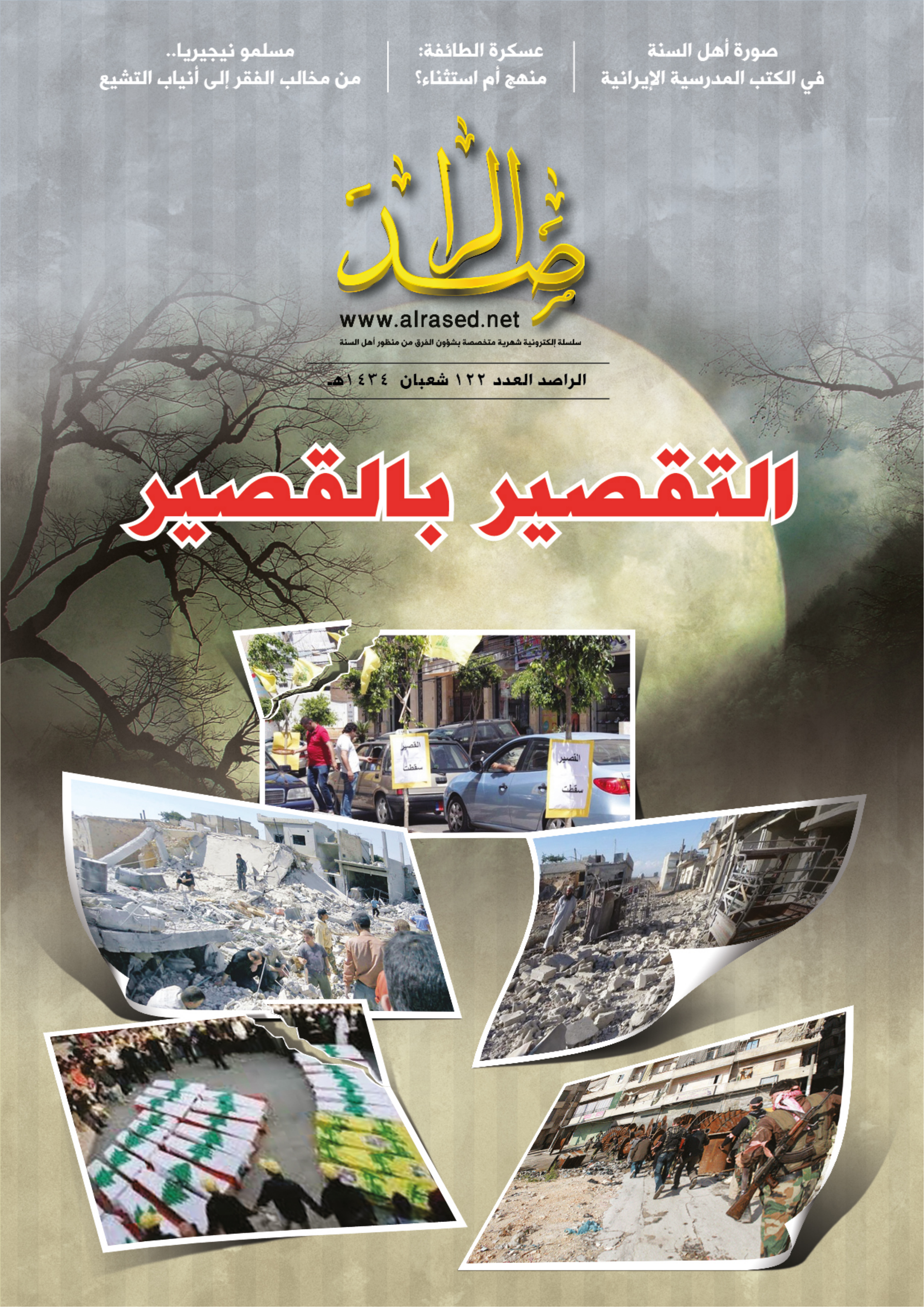


صورة أهل السنة
في الكتب المدرسية الإيرانية
عسكرة الطائفة:
منهج أم استثناء؟
مسلمو نيجيريا..
من مخالب الفقر إلى أنياب التشيع
الراصد
www.alrased.net
سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة
الراصد العدد ١٢٢ شعبان ١٤٣٤هـ
التقصير بالقصير
القصير
سقطت

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراســــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٢٢)
شعبان - ١٤٣٤ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

التقصير بالقصير

تمر الأيام والأسابيع والقصير تمطرها القذائف والصواريخ، والعالم يتفرج ويسمع دون أي حركة مفيدة أو نجدة صادقة، وفي المقابل تتواصل مواكب البواخر الروسية والإيرانية والصينية تحمل الموت والقتل للقصير وأهلها وجيرانها، ولعلها تمر من قناة السويس اختصاراً للوقت ودعماً للاقتصاد المصري !

أما مرتزقة الشيعة فهم يتقاطرون علناً من اليمن والبحرين والسعودية والعراق ولبنان وإيران، بينما تقام المحاكمات والسجون لمن سعى لنصرة المظلومين في القصير وما حولها !!

أن يعلن حزب الله وهو الحزب العسكري (الإسلامي) غزو بلد مجاور هو سوريا لا يستدعي اجتماع مجلس الأمن لكن أن يتحرك أبناء مالي من الجهاديين أو القاعدة هنا يضطرب العالم وتنشط حركة الطائرات العسكرية في سماء مالي فتضيء بقنابلها وكأن موسم العيد جاء مبكرا يحمل لهم الصواريخ بدل الهدايا.

هذه هي الحقيقة .. أهل السنة يذبحون ولا نصير .. وسيبقون يذبحون حتى (يرضى عنك اليهود والنصارى)، ومعهم طبعاً الشيوعية والبوذية لأن العدو الحقيقي لهم هو أهل السنة = الإسلام، وسيبقى الشيعة يتاجرون بشعارات المقاومة والممانعة طالما بقي أغبياء يصفقون لهم من السنة والحركات السنية.

التقصير في القصير لا يستثني أحدا :

❖ فالحكومات كلها وحتى الإسلامية منها أحد قسمين: إما أنها تبارك قتل القصير وأهلها وجيرانها، وإما أنها كارهة لبشار لكن ليس بالقدر الذي يمنعها من القبول ولو على مضض من تأديب الشعب السوري بالقتل والتفجير والاغتصاب والتهجير حتى يتعلم آداب التعامل مع النظام الدولي وموازينه !! وهذه الحكومات الغبية متى ستتعلم أنها الضحية التالية في أجندة الولي الفقيه وأذنابه، وأنها الثور الأبيض الذي خان شقيقيه الأسود والأحمر من قبل ؟!

❖ أما الحركات والجماعات الإسلامية، فهي برغم أن غالبيتها مؤيدة للثورة السورية وللشعب السوري المظلوم إلا أنها لا تزال متشاكسة مع بعضها البعض وربما في داخل الجماعة الواحدة نفسها أحياناً لتفوز بالنفوذ الأكبر ولو تضررت الثورة، وتحاول أن تربح من الدعم للثورة أكثر من أهل الثورة أنفسهم، فهي تتسابق على شراء الولاءات، وتفرض تصوراتها من تحت المكيفات على الثوار في الخنادق، وكأن تجربة أفغانستان لم تمر بنا ولم نتعلم من مآسيها شيئاً.

وبعض الجماعات كجماعة الجهاد الفلسطينية رهنت نفسها بيد إيران لحد الثمالة ضد الثورة السورية فبئسا لها وبئساً لمن يدافع عنها، أما جماعة الإخوان في مصر والأردن فبرغم أنهار الدماء التي تجرى بسببهم في الشام وغيرها إلا أنها لا تزال تلعب سياسة (قذرة) بمسك العصا من الوسط حيث لم تقطع الأمل في علاقات بناءة وإيجابية مع هؤلاء

المجرمين الطائفيين القتلة، وذلك كله بسبب طمعها بدعم من نوعا ما في مواجهاتها السياسية الخاصة في بلدانهم، فتباً لسياسة تتلحف بالإسلام وقد تقبل بالصلح مع هؤلاء المجرمين الطائفيين الذين استباحوا حرمات الدين والمسلمين.

❖ أما العلماء والدعاة الذين يعرفون حقيقة الإجرام الشيعي عقيدة وسلوكاً منذ عشرات السنين، بارك الله في علمكم، لكن هل علمكم هذا عطل المشروع الشيعي الإيراني ؟ وهل خف خطر هذا المشروع المجرم ؟ وهل استطاع أن يحاصره ؟ أم هو الذي يحاصرنا ويهددنا ويقتلنا ؟

يا مشايخنا الكرام: العلم بالتشيع عقيدة وسلوكاً وتاريخاً لن يقاوم المشروع الشيعي الطائفي المجرم إلا إذا تحول لمشروع عملي لمقاومة للتشيع، مشروع يقوم على العلم ويسنده العمل ويدعمه الصبر، مشروع عملي يخاطب الجميع، الحاكم والمحكوم، الكبير والصغير، المؤيد والرافض، المثقف والجاهل، الإعلامي والسياسي.

وهو مشروع يحتاج إلى صبر وتصبر كبير فإنا نعالج أمرا لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه دينا لا يرون الحقّ غيره ، كما قال عمر بن عبد العزيز.

مشروع صريح وواضح مقنع ومعقول، له خطوات وأدوات ومراحل ومهمات، مشروع يدعمه الجميع وينخرط فيه العلماء والمفكرون والإعلاميون والتجار والساسة.

أما الظن أن خطبة جمعة أو مطوية أو موقع إلكتروني أو حتى قناة فضائية ستقضي على المشروع الشيعي الذي له دولة أو دول تحميه وتفديه، ونظام دولي يرعى بقائه لا يتضخم أكبر من اللازم ولا يفنى بالكلية، فهذا نوع من الوهم، نعم هذه الجهود مباركة ومطلوبة وتنفع في بقاء جذوة الرفض للتشيع موجودة، لكنها لن تقضي على المشروع الشيعي حتى تتحول إلى مشروع عملي حقيقي.

❖ وختاماً يبقى الحديث عن تقصير الثوار، وقد يكون من الصعب الحديث عمن يبذلون أرواحهم ودماءهم، ولكن القرآن الكريم علمنا أن المقصر قد يكون من المجاهدين بل وحتى من المجاهدين مع النبي ﷺ، فكلنا بشر معرضون للتقصير ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

إلى متى سيبقى صف الثوار مشتتا ؟ وإلى متى سيبقى هناك تضارب في المواقف والتوجهات ؟ وإلى متى سيبقى هناك من يخرج على الصف بمفاجآت قد تكون طامات ؟ والله سبحانه قد حذرنا في آية محكمة واضحة: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ثم ماذا يستفيد الثوار من إعلان الولاء للقاعدة ؟ ولماذا القاعدة تحرص على البروز الإعلامي الضار في حين يفترض بهم الإخلاص والتفاني ؟ وما هي فوائد ومضار تصريحات الظواهري التي يصدرها من مخبئه ؟ ولماذا لا يهاجم إيران وروسيا والصين الذين يمارسون القتل جهاراً نهاراً، ولماذا تسلم هذه الدول من ضربات القاعدة عبر التاريخ وهي التي في الحقيقة قتلت الملايين من المسلمين ؟

ألم يعلمنا النبي ﷺ «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»، أليس تكرار اللدغ من نفس الجحر دليلا على التقصير ولو من ثائر أو عالم أو مفكر أو قائد أو حاكم ؟!!

١٤- رجل الأمة العلامة عبد العزيز بن باز (١٣٣٠/١٤٢٠هـ-١٩١١/١٩٩٩م)

أسامة شحادة(*) - خاص بالراصد

تمهيد:

لعل كلمة الناس في عصرنا لم تجتمع بالثناء والمدح على رجل كما اجتمعت على العلامة ابن باز، فقد كان له من المحبة والتعظيم والاحترام في قلوب الجميع من العامة والعلماء والأمراء والحكام، الموافق والمخالف، فالكل كان يرى فيه مثال القدوة والنموذج وكأنه قادم إلينا من عصر الصحابة والتابعين، رفع الله قدره وأنزله منازل الصديقين والشهداء.

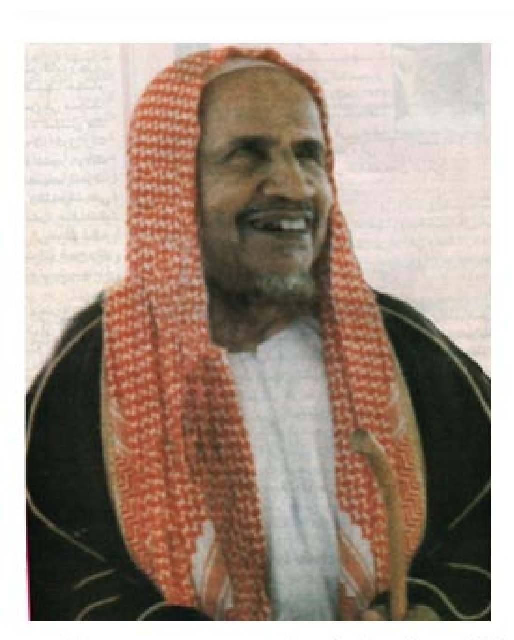
وهو لم يصل لهذه المكانة إلا بفضل الله عز وجل أولاً ثم بهمة عالية ومبادرة إيجابية وانفتاح على الجميع مع صدق في النصيحة لهم، وهو ما سنفصل الحديث فيه لاحقاً.

وقد كان الشيخ ابن باز ضمن أبرز علماء القرن العشرين بحسب استطلاع مجلة الإهرام العربي المصرية سنة ١٩٩٩م.

والكثير من شباب السنة اليوم يعظمون الشيخ ابن باز ولكنهم لا يعرفون حقيقة سيرته ودوره وأدواره التي قام بها وكيف صار له هذا القبول بين الناس بفضل الله عز وجل.

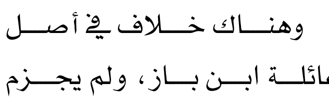
باز يصيد ولا يصاد   له الذرى فوق الوهاد
باز يجنح في القلوب   سكنت يا باز الفؤاد
باز ولا يدمي الجراح   إذا هوى شيئاً أجاد

مولده وأسرته:

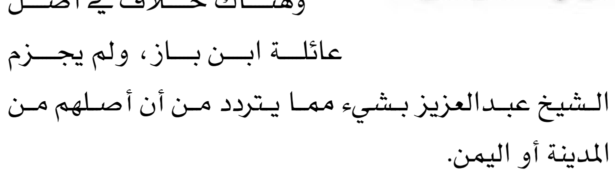


اللهم اجعل ابتسامته رفيقته في الجنة

الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ولد عام ١٣٣٠هـ في الرياض لعائلة عريقة في العلم، فمن علماء العائلة الشيخ عبد المحسن بن أحمد آل باز المتوفى سنة ١٩٢٣م الذي تولى القضاء بالحوطة ثم الإرشاد في هجرة الأرطاوية. والشيخ مبارك بن عبد المحسن بن باز والشيخ حسين بن عثمان بن باز، وقد تولوا القضاء في عدد من مناطق المملكة.



وهناك خلاف في أصل عائلة ابن باز، ولم يجزم الشيخ عبدالعزيز بشيء مما يتردد من أن أصلهم من المدينة أو اليمن.



(*) كاتب أردني.

نشاته وتعلمه:

نشأ ابن باز يتيماً في كفالة والدته لأن والده توفي وهو صغير، وقد رعته مع أخيه محمد وأخيه غير الشقيق إبراهيم، وشجعته على التعلم فحفظ القرآن الكريم قبل سن البلوغ، ثم طلب علوم الشريعة واللغة على العلماء في الرياض، فدرس على الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله، وعلى الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، ودرس على الشيخ سعد بن وقاص البخاري - من علماء مكة المكرمة - وأخذ عنه علم التجويد في عام ١٣٥٥ هـ، وبعد ذلك لازم أبرز شيوخه وهو سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ. والذي لازمه نحواً من عشر سنوات، وتلقى عنه جميع العلوم الشرعية وكان يبكي إذا جاءت سيرته.

وفي سن السادسة عشرة عام ١٣٤٦هـ مرض في عينيه فضعف بصره وحاول علاجه، وفي عام ١٣٥٠هـ حين بلغ قريباً من سن العشرين فقد بصره واختار الله عز وجل له أن يأخذ منه حبيبتيه، وعوضه خيراً منهما في الدنيا والآخرة إن شاء الله، ويروى أن إحدى صديقات والدة الشيخ نصحتها بالوضوء وصلاة ركعتين والدعاء لعبد العزيز بأن يرزقه الله علماً ينفعه وينفع المسلمين، ويبدو أن الله عز وجل قد استجاب لدعاء والدة الشيخ.

وبقي ابن باز يطلب العلم حتى وفاته من خلال القراءة والبحث ومن خلال استماعه واستفصاله الدقيق للخبراء في ندوات وجلسات المجامع الفقهية التي كان يشارك فيها أو يرأسها.

بداية مشواره العملي والدعوي:

١- تولي القضاء بالخرج:

يروي الشيخ ابن باز في إحدى مقابلاته أنه وهو صغير مارس بيع وشراء الملابس والبشوت في الأسواق الشعبية (الحراج) مع أخيه، ولكن الله عز وجل اختار للشيخ مساراً آخر ولعل إصابته بالعمى تكون سبباً لترك البيع والشراء والتفرغ للعلم والنبوغ فيه!

ففي سنة ١٣٥٧هـ وكان عمره آنذاك ٢٧ عاماً كلفه شيخه محمد بن إبراهيم بولاية القضاء في مدينة الدلم بمحافظة الخرج، فقبل مكرهاً، ومكث في ذلك ١٤ عاما حتى سنة ١٣٧١هـ، وقد ترك خلفه في الدلم ذكريات عطرة وقدوة عملية لطلبة العلم والدعاة.

ولم يقتصر دوره هناك على القضاء الذي طوره ونظمه، ولا على التعليم الذي لم ينقطع عنه، بل كان للشيخ أدوار إصلاحية متعددة أخرى.

كان ابن باز في البداية يجلس في بيته للقضاء والفصل بين الناس من الضحى حتى صلاة الظهر وربما جلس أحيانا للقضاء بعد صلاة العصر، ثم اشترى بيتاً وجعله مقراً للمحكمة وجعل فيه حجرة للرجال وحجرة للنساء لها نافذة على مجلسه يسمع منها شكواهن، وحجرة صغيرة خلف مجلسه للكاتب جعل فيها طاقة ليسمع الكاتب توجيهاته.

وكان رحمه الله أول من أنشأ سجلات للأوقاف والتركات في الدلم، وقد أصبح كتبة الشيخ في المحكمة من كبار طلابه. وكان الشيخ متفانياً في عمله حريصاً على خدمة الناس ومساعدتهم، ويروي أحد مساعدي الشيخ قصة مؤثرة تكشف لنا أسباب مكانة الشيخ ابن باز في قلوب الناس ومدى تأثيره على المجتمع، يقول الشيخ سعيد بن عياش الغامدي رئيس محاكم خميس مشيط: كنت كاتبا عند الشيخ عبدالعزيز في الدلم وكان الشيخ دائما لا يخرج حتى ينتهي آخر مراجع ويؤخرنا كثيرا وفي ذات يوم أغلقنا السجلات وهممت بالخروج، فدخل بدوي فقال الشيخ: نجلس نسمع ما يريد، فقلت: يا شيخ الدوام

انتهى، قال: نسمع من الرجل، فقلت: الساعة ثلاثة، فقال: نسمع ما يريد لعله قدم من مكان بعيد، فغضبت لذلك غضبا شديدا وضربت الشيخ على رأسه بدفتر السجلات، ثم هربت، وبعد عدة أيام رجعت للشيخ واعتذرت منه فقبل اعتذاري وكأن شيئا لم يكن، وطلبت العلم ودرست حتى دخلت القضاء وصرت رئيس محكمة خميس مشيط.

وتعلمت من الشيخ أمورا منها: الصبر على المراجعين وتحمل أذاهم، وفي ذات يوم دخل مراجع بعد نهاية الدوام وقد أغلق الكاتب السجلات فطلبت منه فتح السجل وسماع ما عند الرجل فغضب الكاتب، وقال: الدوام انتهى، فقلت له: نسمع من الرجل لعله قدم من مكان بعيد، فما شعرت وإلا والكاتب يضربني على رأسي بدفتر السجلات، فتذكرت موقفي مع الشيخ رحمه الله وهرب الرجل من المحكمة وبعد أيام أرسلتُ في طلبه وأخبرتُ الرسول أنني قد عفوت عنه.

هكذا كان تأثير الشيخ ابن باز وهكذا ملك قلوب الناس، فليكن لطلاب الشيخ اليوم به قدوة بالصبر على الناس ومخالطتهم.

وحين جاء الدلم لم يكن بها هيئة حكومية فقام بكل مهمات الدولة، فتولى الشيخ شق الطرق التي تسهل حياة الناس بوصول السيارات لبيوتهم وبساتينهم. وحين جاءت الفيضانات سنة ١٣٦٠هـ تولى مهمة قيادة الناس وإيجاد الحلول، فأمر أن توجه السيول إلى الآبار التي قرب المساجد والأوقاف وتهدم الأسوار حولها، وأمر بفتح بعض الشوارع على بعض لتخفيف حدة السيل ومعاقبة من يرفض بالسجن، وقد خرج الشيخ بنفسه يشجع الناس وأخذ معه دلات القهوة والتمر لينشطهم على العمل.

ولما هاجم الجراد المنطقة سنة ١٣٦٤هـ خرج الشيخ مع الأهالي لمكافحته وقتله بجريد النخل. وكان في مواسم الحصاد يخرج للفلاحين يشجعهم على الزراعة ويوجههم ويساعدهم في إحضار الماكينات لتسهيل الزراعة.

وأيضاً تولى صيانة مساجد المنطقة وترميمها، وبعضها أمر بهدمه وإعادة بنائه، وكان يهتم بأعضاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويشجعهم على الجولات، ويقول لهم: «لوكنت مبصراً لسعيت معكم».

وعندما توفي أمير الدلم سنة ١٣٦٧هـ بادر الشيخ لجمع وجهاء الأهالي لاختيار أمير لهم كما كان العرف، وفعلاً اتفقوا على أمير، وكتب الشيخ للملك يعلمه باختيار الأهالي وأقر الملك اختيارهم.

وتولى في الدلم أيضاً الإمامة والخطابة والتدريس، فيدرس بعد الفجر أولاً حلقة للصغار، ثم حلقة للمتقدمين إلى وقت الضحى، فيعود للمنزل يرتاح قليلاً ثم يباشر القضاء إلى صلاة الظهر، وبعد العصر له درس، ثم يخرج لبعض البساتين فتُقرأ عليه الصحف والمجلات والمعاملات حتى قبيل المغرب، وبين العشاءين له درس، وفي هذه الدروس كان يتابع أدق شؤون الطلبة ويرعاهم كأبنائه.

وسعى الشيخ لأن تفتح الدولة عددا من المدارس النظامية في المنطقة، وتم ذلك سنة ١٣٦٧هـ وعهد للشيخ ابن باز أن يرشح لها المدير والمعلمين، وقام الشيخ بحثّ الناس على إلحاق أبنائهم بالمدارس لمحاربة الأمية والجهل ونشر العلم والمعرفة، وتشجيعاً للطلاب خرج الشيخ معهم في رحلة على حسابه الشخصي.

وكان يخرج للسوق يومي الاثنين والخميس حيث يحضر للسوق الحضر والبدو والرجال والنساء فيجلس يدرسهم ويرشدهم وينصحهم ويحل مشاكلهم.

وهذا الدور الإصلاحى المبكر للشيخ ابن باز جعل من دروسه قبلة لطلبة العلم، فأصبح الطلبة يتوافدون على دروس الشيخ من الدلم وخارج الدلم ومن جنسيات مختلفة كاليمن ومصر وفلسطين

والعـــراق وغيرهـــا، فـسعى الـشيخ مبكـراً لرعايـة طلبتـه، وكتـب لـولي العهـد آنـذاك الأمـير سـعود بـن عبـد العزيـز بتـأمين سـكن لهـم وتخـصيص مكافـآت ماليـة شـهرية لهـم لتـشجيعهم علـى مواصـلة الدراسـة، وهـو الأمـر الـذي أصبح سياسـة عامـة للدولـة الـسعودية لليوم برعاية الطلبة في الجامعات والمعاهد.

وحـين تتأمـل خطـاب الـشيخ لـولي العهـد تجـده ينطلـق مـن رؤيـة إصـلاحية عالميـة تـدرك واقـع المسلمين وأزمـتهم الحـضارية، يقـول ابـن بـاز: «معلـومكم مـا أصيب بـه المسلمون مـن قلـة حملـة العلـم الـشرعي وقلـة طلابـه الحقيقيين لأسباب كثيرة، منها:

ضـعف الـداعي القلـبي الإيمـاني إلى طلبـه، ومنهـا قلـة المـساعدة الماديـة لمـن قـد يوجـد فيـه رغبـة في الطلـب في غالـب البلـدان الـتي يوجـد فيهـا معلـم، ومنهـا قلـة المـشجع والمُرغـب في الطلـب باللـسان والمـال»، وهـذا الخطـاب كتبـه الـشيخ في سـنة ١٣٦٨هــ، أي قبـل ٦٥ سنة!!

٢- العودة للرياض والتدريس بالمعهد العلمي:

في عـام ١٣٧٢هــ أمـره الـشيخ ابـن إبـراهيم بـالعودة للريـاض والتـدريس بالمعهـد العلمـي فيهـا، ثـم بكليـة الـشريعة بجامعـة الإمـام محمـد بـن سـعود سـنة ١٣٧٣هـ، وبقي هناك ٩ سنوات حتى سنة ١٣٨٠هـ.

وفي هـذه المرحلـة درَس علـى يـد الـشيخ الـكـثيرُ مـن علمـاء الـسعودية اليـوم، حيـث دّرس العقيـدة والحـديث والفقــه والنحــو، وكــان متميــزاً في طريقـة شــرحه الـسهلة والغنيـة، ومتميـزاً بـسعة علمـه وقـوة ذاكرتـه، وكـان قريبـاً مـن طلبتـه يرعـاهم ويـوجههم، ومـن هنـا تجـد عظـم محبـة الـشيخ في قلـوب طلابـه وتلاميـذه واستشعارهم لأبوته لهم.

وبعــد دوام الكليــة كانــت لــه دروس ولقــاءات سـجل بعـض مواقفهـا الـشيخ عمـر الأشـقر في كتابـه «حياتي» رحم الله الجميع.

ومـن قـصص حـسن تعاملـه مـع طلبتـه حتـى المشاكـسين وأثـر ذلـك علـيهم، مـا رواه أبـو عبـدالرحمن بـن عقيـل الظـاهري، فقـال: لمـا التحقـتُ بالمعهـد العـالي للقـضاء كنـت ذا هيئـة غـير هيئـة الطلبـة ... وكـان أهـل الخـير يوصـلون ذلـك لـسماحته، فـلا يـرد علـيهم بغـير الـدعاء لـي بالهدايـة، وفي الأسئلة التحريريـة النهائيـة كانـت أجـوبتي مخزيـة في مـادة الحـديث الـتي يُدرسـها، وكنـت أغطـي جهلـي بـالتقعر والتفلـسف، ونجحـت في المـادة نجاحـاً علـى غـير مـا ينبغـي .. وعلـم مـن أهـل الخـير أن تلـك أجـوبتي، فاشـتد حزنـه وتقريعـه، ولم يـرتح إلـي إلا منـذ عـام ١٤٠٦هــ تقريبـاً عنـدما أقلعـت عـن خـزعبلات الفـن، وأذن لـي بخطـاب رسمـي بتـدريس «صـحيح البخـاري» في مـسجد سـلطانة، وإنمـا أراد رحمـه الله جـري إلى الحديث وعلومه.

والـشيخ معـروف بـالكرم وحبـه للبـذل، وقـد يظـن الـبعض أن هـذا حـصل بعـد أن وسـع الله عليـه وتـولى المناصـب، ولكـن معاصـريه يقولـون إن هـذا شـيء قـديم في الـشيخ مـذ كـان طالبـاً فكـان يـدعو زمـلاءه للأكـل معـه، ويـروي أحـد علمـاء أرتيريـا موقفـا لـه مـع الـشيخ، فيقـول: وصـلتُ الريـاض الثالثـة فجـراً في ليلـة شـاتية ولم يكـن عنـدي مـال لأنـزل في فنـدق فـترددت أن أذهـب لبيـت ابـن بـاز، ثـم ذهبـت ووقفـت عنـد منزلـه الطـيني ولمـست البـاب فـسمعني أحـد الـضيوف النـائمين ففـتح لـي، فـسلمت همـساً حتـى لا أزعـج أحـداً، فمـا هـي إلا لحظـة حتـى أقبـل الـشيخ بنفـسه نـازلاً مـن الـدرج معـه طعـام تقـوده امرأتـه مـن خلفـه، فـسلم وقـال: أظنـك لم تأكـل هـذه الليلـة، فـوالله مـا طرق النوم عيني من البكاء على هذا الموقف النبيل.

وإبـان رئاسـته للجامعـة الإسـلامية كـان راتبـه خمـسة آلاف ريـال وكـان يـصرف جلّـه علـى الفقـراء وذوي الحاجـات قبـل نهايـة الـشهر، بـل كـان الـشيخ يـستدين راتبـه مقـدماً لعـدة أشـهر، ومـرة كانـت زوجـة الـشيخ مـسافرة فطلـب الـشيخ مـن مـساعده شـراء طعـام لـضيوف عنـده، فـأخبره بعـدم وجـود مـال عنـد الـشيخ، فقـال: اقـترض مـن أحـد المطـاعم القريبـة ثـم

نسدد له، فقال له: كل المطاعم القريبة اقترضنا منها! فقال: اذهب والله ييسر لك، فذهب ويسر الله لهم طعاما تلك الليلة.

وحاول الملك فيصل مساعدة الشيخ على سداد ديونه لأنها من جراء صدقاته ومساعدة الآخرين فأمر وزير المالية أن يرسل للشيخ شيكا قدره مائة ألف ريال، لكن الشيخ رفض بشدة قبول المبلغ إلا على شرط أن يكون دينا عليه يخصم من راتبه بمعدل ألفي ريال شهريا، فأرسل الوزير للملك فقبل بذلك فأخذ الشيخ المبلغ.

٣- الانتقال للمدينة المنورة

في سنة ١٣٨١هـ سنة افتتحت الجامعة الإسلامية وعُين الشيخ ابن باز نائبا لرئيس الجامعة الشيخ محمد بن إبراهيم، وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٣٩٠هـ حيث تولى رئاسة الجامعة وبقي حتى عام ١٣٩٥هـ.

وتعد هذه الفترة من أخصب فترات حياة الشيخ لأنها نشرت علمه وفضله في العالم كله، من خلال الطلبة الذين تعلموا على يديه من مختلف أنحاء العالم، ومن خلال المدرسين المتميزين والمتنوعين الذين استدعتهم الجامعة، ومن خلال ضيوف المدينة المنورة من وجهاء العالم الإسلامي وأعلامه.

ومع عنايته بالطلبة في دروسه بالجامعة وخارج الجامعة إلا أنه كان أيضاً يتفقد أداء المدرسين فيزور الفصول ويستمع لتدريس المعلمين ويوجههم، ويتفقد أحوالهم ويساعدهم ويحثهم على بذل المزيد من الجهد في التعليم والتربية، وكان يطلب من المدرسين تقديم الاقتراحات لتطوير الجامعة وتحسين أدائها، وكان يتابع بنفسه المحاضرات العامة الأسبوعية التي تعقد بالجامعة للمدرسين بها أو لبعض الضيوف.

وكان يهتم بأوائل الطلبة فيجعلهم دعاة متفرغين في بلدانهم، وحرص على توفير ميزانية كبيرة لنشر الكتب والمراجع بين الطلبة، وكان الشيخ يرعى نشاطات الطلبة الدعوية الأسبوعية في التجول للدعوة على مساجد المدينة المنورة، ويشارك معهم في الرحلة الشهرية للمدن بين المدينة ومكة حيث ينصب مخيم كبير تقام فيه الدروس والمحاضرات، ويشارك في هذه الرحلات كثير من طلبة الجامعة وموظفيها وأساتذة الجامعة كالشيخ الألباني والشيخ عطية سالم، وقد كان هذا المخيم تدريبا عمليا للطلبة للخطابة والتدريس والوعظ بإشراف المشايخ وخاصة ابن باز الذي كان يوجه الطلبة ويصحح لهم أسلوب ومضمون الدعوة والعلم والموعظة، كما ذكر ذلك الشيخان الأشقر وعبدالرحمن عبدالخالق.

وكانت للشيخ دروس غير منتظمة في المسجد النبوي في صحيحي البخاري ومسلم، وكان يدرس في مسجد الجامعة، وكذلك في بيته، ولكن أعظم مجالسه تلك التي كانت ندوات علمية يشارك فيها ابن باز والألباني والشنقيطي، فقد كانت مجالس نادرة، ويعلق الشيخ الأشقر فيقول: وقد حضرتُ بعض المجالس التي جمعت المشايخ الثلاثة، ودار فيها حوار حول بعض المسائل العلمية أو الكونية، فكنتَ ترى من كل واحد من العلم والاستدلال ما يبهر العقول ويطرب النفوس، وكم تمنيت أن تكون تلك اللقاءات سجلت أو دونت.

ويقول الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق عن هذه الندوات: وكانت هناك جلسة في دار الحديث لهؤلاء المشايخ للنقاش والمناظرة تستمر من بعد صلاة العشاء إلى منتصف الليل أحياناً، وكان يأتي كثير من طلاب العلم في هذه الجلسات، ... وكان النقاش علمياً بين المشايخ بأدلته، وأحياناً نحتاج لإنزال الكتب عن الرفوف والرجوع إليها، فكانت هذه المناظرات والمناقشات حلقات علمية بالمعنى الكامل لحلقات العلم. أ.هـ

وهذه اللقاءات كشفت عن علو كعب الشيخ ابن باز في علم الحديث، وهذا أمر شهد له حتى

الشيخ الألباني، فيروى الشيخ محمد لقمان السلفي مرافق الشيخ أن ابن باز حضر محاضرة للشيخ الألباني ثم علق عليها وأبدى ملاحظات علمية دقيقة في علوم الحديث سنداً ومتناً، وبعدها شكره الشيخ الألباني واعترف له بغزارة العلم؛ وفي حادثة أخرى كان الشيخ الألباني يقرأ حديثاً بحضور ابن باز فذكر أحد شيوخ الراوي الذي يقرأ له، فصوبه الشيخ ابن باز مِن حفظه، ولما سئل عن ذلك، قال: هذا الذي قرأه الشيخ ناصر خطأ، وفلان الذي ذكره ليس من شيوخ ذلك الراوي.

وكان نتاج هذا كله أن أصبح للشيخ ابن باز واخوانه من العلماء السلفيين سفراء في كل العالم ينشرون علمه وفضله ومنهجه السلفي الرائق، والذين كانوا ركائز أساسية للصحوة السلفية التي نعيشها اليوم.

ولذلك كان وقع خبر انتقال الشيخ للرياض كالصاعقة على نفوس الطلبة والمعلمين، وقد وصف الشيخ محمد المجذوب اجتماع الناس على الشيخ لوداعه بوصف مؤثر، اكتفي منه ببيتين قالهما في هذه المناسبة:

بكينا وفاء لامرئ قلّ أن يرى

له في الدعاة العاملين نظير

فخلوا ملامي إن ألح بي البكا

فإن فراق الصالحين عسير

٤- العودة للرياض ورئاسة إدارة البحوث العلمية ثم منصب المفتي العام وهيئة كبار العلماء:

عاد الشيخ للرياض سنة ١٣٩٥هـ وتولى رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد، وفي سنة ١٤١٤هـ عين مفتياً عاماً للمملكة مع رئاسته لهيئة كبار العلماء، وإدارة البحوث، وبقي في منصبه حتى وفاته سنة ١٤٢٠هـ.

ومع تميز الشيخ العلمي إلا أن الجميع يشهد له أيضا بأنه كان إداريا ناجحاً، يتابع أدق التفاصيل ولا تتراكم عنده الملفات بل الإنجاز هو صفته، وكان موفقاً في إدارة وقته واستغلاله على أكبر قدر ممكن، فقد كان يستغل حتى ركوبه في السيارة لقراءة بعض المعاملات أو كتب العلم، بل حتى مشيه للمسجد أو المكتب أو حتى للوضوء كان يستغله في إنجاز شيء نافع ومطلوب!

وبرغم كل هذه المناصب إلا أن الشيخ بقي محافظاً على طلبه للعلم وتدريسه له، فقد كان له دروس يومية وأسبوعية مستمرة، بخلاف الندوات والمؤتمرات والمحاضرات.

وكان برنامجه يبدأ قبل صلاة الفجر وينتهي بعد العشاء على النحو التالي:

يبدأ برنامجه بالتهجد قبل صلاة الفجر، وغالباً ما يكون عنده درس بعد الفجر إلى طلوع الشمس، ثم يعود للبيت فيفطر وربما ارتاح قليلاً؛ ثم يذهب إلى مكتبه من التاسعة حتى الثانية والنصف، فيعود للبيت للغداء مع ضيوفه وهذه عادته من عشرات السنين، وبعد صلاة العصر ربما ألقى كلمة وأحياناً يستريح قليلاً، وبعد المغرب تُعرض عليه المعاملات ويستقبل الاتصالات والزوار ويُقرأ عليه بعض الكتب العلمية، إلى ما بعد العشاء، ولا يخلد للنوم إلا قرابة الثانية عشرة.

وكان الشيخ يحب مخالطة المساكين، ولذلك كان إذا طُلب منه إبعاد المساكين عنه في الغداء وتخصيص مكان للشيخ وكبار الضيوف للغداء، وللمساكين من العمال المغتربين والعامة مكان آخر، يغضب ويقول: مسكين مسكين صاحب هذا الرأي، هذا لم يتلذذ بالجلوس مع المساكين والأكل مع الفقراء، أنا سأستمر على هذا وليس عندي خصوصيات، والذي يستطيع أن يجلس معي أنا وهؤلاء الفقراء والمساكين يجلس، والذي لا يعجبه وتأبى نفسه فليس بمجبور على ذلك.

وفي مرة من المرات على الغداء وكان عنده أحد العلماء سأل الشيخُ عن أحد الخدم عنده هل جاء للغداء فقيل له لم يأت بعد، فأخذ الشيخ يناديه

حتى جاء، فسأل الضيف: هذا ولد الشيخ؟ فقيل له: هذا الخادم الذي يغسل الأطباق، فبكى من تواضع الشيخ وزهده.

وقد جاء أستاذ في العلوم السياسية من جامعة كوينز بكندا وهو مسلم من أصل باكستاني للسعودية لدراسة النهضة الإسلامية وطلب زيارة الشيخ ابن باز، وحين سئل عن انطباعاته عن زيارته قال: السياسة في جذورها وفروعها وأركانها كانت موجودة في مكتب الشيخ، فصوت رنين الهواتف العديدة لا ينقطع ما دام الشيخ موجودا، والمتصلون من العامة والمسؤولون، رجالا ونساء، من الداخل والخارج، وأن في هذا دليلا على قوة الإسلام وتمتعه بقوة اجتماعية قادرة على اختراق قاعدة المجتمع بالكامل وأن الناس كانت تنتظر التوجيه من الشيخ ليس في الدين فحسب بل في كل معاملاتهم وعلاقاتهم. وهذه شهادة من عالم في السياسة والاجتماع عن حقيقة الدور الذي يجب أن يقوم به العلماء وهو ما وفق الله عز وجل ابن باز له.

وقد كان ابن باز مع كل هذه الإنشغالات عضوا ورئيساً فاعلاً لعدد من المؤسسات الدعوية مثل:

رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

رئيس المجمع الفقهي الإسلامي بمكة.

عضو المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

عضو الهيئة العليا للدعوة الإسلامية.

عضو المجلس الاستشاري للندوة العالمية للشباب الإسلامي.

عضو الصندوق الدائم للتنمية الشبابية.

طلاب الشيخ:

لا يمكن إحصاء طلاب الشيخ من داخل المملكة وخارجها لكثرتهم، فمن المملكة:

الشيخ محمد بن عثيمين والشيخ عبد الله بن جبرين والشيخ عبد العزيز الراجحي والشيخ عبد العزيز السدحان والشيخ عبد الله بن قعود والشيخ سعد بن تركي الخثلان والشيخ عبد الله العتيبي والشيخ عبد العزيز المشعل والشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي والشيخ صالح الأطرم والشيخ عبد الرحمن البراك والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الشثري والشيخ عبد العزيز آل سليمان والشيخ بدر بن ناصر البدر والشيخ الدكتور محمد بن إبراهيم الحمد والشيخ عبد الله العبود والشيخ الدكتور عبد الله الشتوي والشيخ علي أبا الخيل والشيخ علي المري.

ومن خارج المملكة:

الشيخ عطية محمد سالم والشيخ أبو بكر الجزائري والشيخ محمد أمان الجامي والشيخ محمد المجذوب والشيخ محمد لقمان السلفي والشيخ عدنان العرعور والشيخ عمر الأشقر والشيخ عبدالرحمن عبدالخالق والشيخ محمد المغراوي.

وفاته رحمه الله:

بقي الشيخ إلى يومه الأخير بل ساعاته الأخيرة يعمل على خدمة الناس وقضاء حوائجهم، فبرغم بلوغه سن التسعين ومرضه في أيامه الأخيرة، إلا أنه كان حتى في المستشفى يطلب قراءة المعاملات عليه!

بل لما خرج من المستشفي رفض العودة للبيت وذهب للمكتب وعاد في وقت الغداء وتغدى مع الضيوف من المساكين والزوار، واستقبل الناس بعد المغرب فشفع لبعض الناس وأفتى لأحدهم في قضية طلاق، وصدر بيان من اللجنة الدائمة بخصوص قضايا المرأة في ٢٥ محرم ١٤٢٠ه.

وفي ليلة وفاة الشيخ قام بنفسه قبل الفجر فتوضأ وصلى ثم اضطجع، ثم جلس وتبسم وسألته زوجته: هل تريد شيئاً؟ فلم يجبها، واضطجع مرة أخرى ولكن كان صوت نفسه في صدره

مسموعا، فنادت ولدها أحمد، فجاء وكلم الشيخ فلم يرد عليه، فنقله للمستشفى لكن الشيخ كان قد أسلم الروح لربه،

فتوفي في ٢٧ محرم ١٤٢٠ه.

وكانت جنازته رحمه الله جنازة مهيبة لعله لم يُر في العصر الحديث مثيلاً لها، وهذا من المبشرات للشيخ وقد رؤيت فيه منامات صالحة كثيرة، وصُلي عليه في الحرم المكي يوم الجمعة ٢٨ محرم.

محطات متفرقة من حياة الشيخ:

❖ يتميز الشيخ بخصال كثيرة لكن من أهمها:

١- حرصه على خدمة المسلمين حتى آخر لحظة في حياته.

٢- مبادرته دوماً لتقديم حل للمشاكل التي تعرض عليه، فيبادر بالكتابة للمسؤولين، أو توجيه النصيحة لصاحب الشأن أو البذل والعطاء من ماله.

٣- انفتاحه على كل المسلمين وتواصله معهم مع النصح لهم فيما يرى أنهم مخطئون فيه، ومساعدتهم وعونهم والتعاون معهم في جوانب الخير.

❖ للشيخ عناية زائدة بقضية تحكيم الشريعة فكان يخاطب الرؤساء والملوك دوما في مناسبات عامة وخاصة ويطلب منهم تحكيم الشريعة، مثل نصيحته لعموم الحكام والعلماء بتطبيق الشريعة، ورسالته للملك الحسين حين عدل عن إقامة تمثال له في ميدان عام سنة ١٤١٧هـ، فكتب إليه ابن باز: «بلغني ... أن جلالتكم قد منع إقامة تمثال لكم في عمان، فسرني ذلك كثيراً، وشكرت لجلالتكم هذا العمل، ورأيت الكتابة إلى جلالتكم في ذلك شاكراً وراجياً من جلالتكم إصدار الأمر الكريم بتحكيم الشريعة المطهرة في المملكة الأردنية الهاشمية في جميع الشئون، كما حكم بها جدكم أفضل الخلق محمد ﷺ...».

وكذلك رسالته للرئيس الباكستاني ضياء الحق يهنيه فيها على قرار تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان.

❖ من قصص بذله في سبيل الله، أنه كان يستدين لينفق على بعض أوجه الخير ورعاية الفقراء والدعاة، وفي مرة جاء أحد قادة المجاهدين الأفغان لطلب المساعدة في شراء غرض مهم للجهاد، فقام الشيخ ببيع غرض مهم من أغراضه الخاصة وقدم له المال.

❖ كان للشيخ عناية بقضايا المسلمين كفلسطين، وغزو أفغانستان، والصومال، والأكراد، والبوسنة والهرسك وكوسوفا، وأفريقيا، وهدم المسجد البابري بالهند، والشيشان، وكان يتابع أخبارهم ويدعمهم بالمال والشفاعة وغيرها، وألف كتابه (الجهاد) للدفاع عن قضايا المسلمين وضرورة الجهاد.

❖ كان للشيخ عناية بإقامة المؤسسات الدعوية في العالم وحتى الغرب من وقت مبكر، فهو من سعى لتوفير الدعم لمسجد مركز إسلامي بباريس ومسجد لندن سنة ١٩٨٤م. وحين مُنح الشيخ جائزة الملك فيصل العالمية وهي جائزة مالية ضخمة قبلها ومنحها لدار الحديث الخيرية بمكة، وقد اعتنى الشيخ بدار الحديث من ناحية المباني والمدرسين والميزانية حتى أصبحت شهادتها تعادل الشهادة الجامعية.

❖ كان الشيخ مناصراً دائماً للعلماء، فما أن يبلغه حاجة واحد منهم أو تعرضه لموقف يحتاج فيه إلى إعانة إلا وكتب للمسؤولين في إعانته ورفع الحرج عنه، فهو قد طلب إيقاظ ولي العهد الأمير عبدالله بن عبد العزيز في منتصف الليل لإيقاف إعدام عدد من المشايخ والدعاة في الصومال، وكتب للملك الحسين بخصوص عدم ترحيل العلامة الألباني من الأردن، وكتب لأمير الكويت بخصوص قبول عودة الشيخ محمد الأشقر والشيخ عمر الأشقر للكويت بعد تحريرها، وله شفاعات

كثيرة في هذا الشأن.

❖ كان الشيخ على علاقة ومعرفة بكثير من علماء العصر ورموز الحركة الإسلامية مثل أبي الأعلى المودودي وأبي الحسن الندوي ومحمد الغزالي ومحمد متولي الشعراوي ومحمود الصواف.

❖ كانت للشيخ مراسلات كثيرة مع ملوك ورؤساء عصره بخصوص القضايا الإسلامية: الملك فيصل، ضياء الحق، صدام حسين، معمر القذافي، بو رقيبة، الملك حسين.

❖ اهتمام الشيخ بقضايا الإعلام، فكثيرا ما كتب ونصح وحذر من التجاوزات الإعلامية في المملكة وخارجها، وكان حريصاً على وجود منابر إعلامية شريفة ونزيهة ومحافظة.

❖ كان الشيخ يتصدى لأية مخالفة للشريعة خاصة إذا كانت تسن كقانون ولو خارج المملكة، ولذلك كتب منبهاً على خطأ مشروع قانون الأحوال الشخصية في الإمارات والذي حاول تحديد سن الزواج بـ ١٨ سنة للزوج و١٦ سنة للزوجة، وذلك قبل ٣٠ سنة، والأمة لليوم لا تزال تتعرض للضغوط الغربية واليسارية والعلمانية للعبث بقوانين الأحوال الشخصية، مما يدلنا على الوعي المبكر للشيخ تجاه المؤامرات التي تحاك للأمة الإسلامية والأسرة المسلمة والتي هي عماد الأمة.

❖ كان الشيخ ابن باز حائط صد متقدما لكثير من المخططات التغريبية للمجتمع السعودي والأمة بعامة، فها هو في سنة ١٣٩٩هـ يحذر من دعوات بعض المؤسسات الأمريكية للشباب السعودي للسفر لأوروبا وأمريكا والمكسيك في رحلات صيفية، وقد ظهرت خطورة مثل هذه الرحلات على الشباب المسلم بما نراه من ضياع كثير من المبتعثين للدراسة أو الذين يسافرون للسياحة بدون رقيب ولا حسيب.

❖ ومن هذا الدور المبكر للشيخ في حماية المجتمعات الإسلامية من الغزو الفكري والسلوكي، تصدّيه لدعوة العلمانيين للمرأة بالعمل والاختلاط في كل الميادين، بتحريم هذا العمل والاختلاط والذي أصبحت نتائجه المدمرة على الأسرة والمجتمع والشباب والشابات ظاهرة اليوم.

❖ كان للشيخ مواقف مشهودة في التصدى لموجة المد القومي والناصري، فتصدى لها في خطبه ودروسه وألف كتابه (نقد القومية العربية).

❖ كان الشيخ ابن باز مستشاراً لكثير من الدعاة والقادة في الجماعات الإسلامية في ما يواجههم من تحديات، يقول المستشار عبدالله العقيل عن نصائح ابن باز للدعاة: أما زياراتي الخاصة له في بيته ومكتبه والاستعانة به في طرق العلاج لما يواجه المسلمين من مشكلات خاصة وعامة في أقطارهم ومع حكامهم للأخذ بالحلول الحكيمة الناجحة في علاج المشكلات فهي أكثر من أن تحصر.

مراجع للتوسع:

- موسوعة إمام المسلمين في القرن العشرين سماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، جمع عبدالعزيز أسعد، مؤسسة الريان والمكتبة الإسلامية، ط ١، ٢٠٠٧.
- الإمام ابن باز دروس ومواقف وعبر، عبدالعزيز السدحان، الدار الأثرية، مصر، ط ١، ٢٠١١.
- الشيخ ابن باز، كتيب مجلة العربية رقم ٢٧، ١٩٩٩م.
- صفحات من حياتي، د. عمر الأشقر، دار النفائس، عمان، ط ١ ، ٢٠١٠.
- من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية، المستشار عبد الله العقيل، ط ٧ ، ٢٠٠٨.
- علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، دار الشواف، الرياض، ط٤ ، ١٩٩٢م.

المماليك ينتصرون لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما

هيثم الكسواني(*) - خاص بـ «الراصد»

لا يكادُ يخفى على أحد من المسلمين أن سبّ الشيعة لأصحاب النبي ﷺ هو من صلب عقيدتهم، ومن أساسيات مذهبهم، يتوارثونها جيلا بعد جيل، ومن المنكرات المنتشرة بين علمائهم وعوامهم على حد سواء.

وإننا لا نأتي بجديد عندما نقول إن الشيعة يسبّون الصحابة رضي الله عنهم وأمهات المؤمنين والصالحين من هذه الأمة، وخاصة الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فإن سبّهم ولعنهم للصحابة منشور ومنتشر الآن في الكتب ووسائل الإعلام مثل القنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية، ولن يبذل المرء كثير جهد ليراه ويسمعه.

لكننا في هذه السطور التاريخية نسلط الضوء على ردة فعل الأمة قديما تجاه هذا المنكر، ووقفتها الحازمة تجاهه، ومعاقبة من يقترفه، كي لا يتجرأ الشيعة الروافض على سب الصحابة وسلف الأمة، وهو ما بتنا نفتقده في الوقت الحاضر، أو كِدنا نفتقده، إذ صرنا على الدوام نسمع من يدافع عن الشيعة ويبرئهم من تهمة سب الصحابة، أو الادّعاء بأن هذا المنكر يصدر عن بعض جهلتهم فقط، وأنه لا دخل لعلمائهم به، إلى غير ذلك من التبريرات والتأويلات.

وفي كتابه القيم (البداية والنهاية) يورد الحافظ ابن كثير رحمه الله قصص بعض الشيعة في القرن الثامن الهجري، الذين تجرؤوا على سبّ الصحابة، ليس في أوساط شيعتهم، بل بين المسلمين من أهل السنة، وفي واحد من أكبر المساجد في الإسلام وهو المسجد الأموي في دمشق، غير آبهين بما قد ينالونه من عقاب الحاكم أو غضب الناس.

ودمشق حينذاك تحت حكم دولة المماليك الذين حاربوا التتار وكسروهم في موقعة عين جالوت، وتصدوا للصليبيين، ودافعوا عن ديار المسلمين، وقد أضافوا إلى مآثر دولتهم تلك مأثرة أخرى بدفاع سلاطينهم وولاتهم وقضاتهم عن الصحابة، ومعاقبة من تجرأ على سبهم ولعنهم.

يقول ابن كثير في أحداث سنة ٧٥٥هـ:

«في يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى اجتاز رجل من الروافض من أهل الحلة بجامع دمشق بعد صلاة الظهر، وهو يسبّ أول من ظلم آل محمد، يكرر ذلك لا يفتر، ولم يصلِّ مع الناس، ولا صلى على الجنازة الحاضرة، بل الناس في الصلاة وهو يكرر ذلك ويرفع صوته به، فلما فرغنا من الصلاة نبهت عليه الناس فأخذوه، وإذا قاضي القضاة الشافعي في تلك الجنازة حاضر مع الناس فجئت إليه، واستنطقته: من الذى ظلم آل محمد، فقال: أبو بكر الصديق، ثم قال جهرة والناس يسمعون: لعن الله أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد. فأعاد ذلك مرتين، فأمر به الحاكم إلى السجن، ثم استحضره المالكى وجلده بالسياط، وهو مع ذلك يصرخ بالسب واللعن والكلام الذي لا يصدر إلا عن شقي.

واسم هذا اللعين علي بن أبي الفضل بن محمد بن حسين بن كثير، قبحه الله وأخزاه، ثم لما كان يوم الخميس تاسع عشره عُقد له مجلس بدار السعادة،

(*) كاتب أردني.

وحضر القضاة الأربعة، وطلب إلى هنالك فقدّر الله أن حكم نائب المالكي بقتله فأُخذ سريعا فضُربت عنقه تحت القلعة، وحرقه العامة، وطافوا برأسه البلد، ونادوا عليه: هذا جزاء من سبّ أصحاب رسول الله ﷺ»[1].

وهكذا تقف الأمة بالمرصاد لأمثال هؤلاء الذين نزعوا عنهم ثوب التقية، وجهروا بمنكرهم وباطلهم. وما هي إلاّ سنوات قليلة حتى يقف شقي آخر في المسجد ليسبّ الصحابة، فيقف المسلمون في وجهه وقفة واحدة: السلطان والقاضي وعوام الناس، كلهم يعرفون للصحابة قدرهم، وكلهم يعرفون ما عند الشيعة من أباطيل، وعليه فإنهم لا يسمحون لهذا الباطل بأن يسري بينهم.

ويقول ابن كثير في أحداث سنة ٧٦٦هـ:

«وفي يوم الخميس ثامن عشره أول النهار وُجد رجل بالجامع الأموى اسمه محمود بن إبراهيم الشيرازي، وهو يسب الشيخين، ويصرّح بلعنتهما، فرُفع إلى القاضي المالكي قاضي القضاة جمال الدين المسلاتي فاستتابه عن ذلك، وأحضر الضّراب، فأول ضربة قال (لا إله إلا الله، عليّ وليّ الله)، ولما ضُرب الثانية لعن أبا بكر وعمر، فالتهمه العامة فأوسعوه ضربا مبرحا، بحيث كاد يهلك، فجعل القاضي يستكفُهم عنه، فلم يستطع ذلك، فجعل الرافضي يسب ويلعن الصحابة، وقال: كانوا على الضلال، فعند ذلك حُمل إلى نائب السلطنة، وشهد عليه قوله بأنهم كانوا على الضلالة، فعند ذلك حكم عليه القاضي بإراقة دمه، فأُخذ إلى ظاهر البلد فضُربت عنقه، وأحرقته العامة قبّحه الله.

وكان ممن يقرأ بمدرسة أبي عمر، ثم ظهر عليه الرفض فسجنه الحنبلي أربعين يوما فلم ينفع ذلك، وما زال يصرح في كل موطن يأمر فيه بالسب حتى كان يومه هذا أظهر مذهبه في الجامع، وكان سبب قتله قبحه الله كما قبح من كان قبله، وقُتل كقتله في سنة خمس وخمسين»[2].

للاستزادة:

❖ الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.



(١) البداية والنهاية، ج ٥، ص ٣٠٨٤.

(٢) المصدر السابق، ج ٥، ص ٣١٢٢.

الشريعة والمرأة.. دليل الحيران

فاطمة عبد الرءوف(❖)- خاص بالراصد

تعد دراسة «مصر والشريعة الإسلامية: دليل الحيران» للباحث ناثان ج. براون والتي أعدها لمركز كارينجي أثناء النقاشات الحادة في مصر عند صياغة الدستور نموذجا لما تقوم به دوائر صنع القرار في الغرب والتي لا تتحرك إلا وفقا لدراسات وأبحاث دقيقة ومتأنية للداخل الإسلامي حتى أن بعض الباحثين من ذوي التوجه الإسلامي علقوا على هذه الدراسة بقولهم إنهم يعرفون عنا أكثر مما نعرف عن أنفسنا ..

بالطبع لا أوافق على هذا التعليق ليس بسبب ما يتضمنه من مبالغة فحسب وإنما لما يحمله من مفهوم سلبي عن الذات الحضارية وتضخيم للآخر وما يتبع ذلك من استعداد للهزيمة والاستلاب .. إنما يمكن القول إن دراسة براون هي دراسة جادة للتعرف على ما يدور في عقولنا من أفكار حول الهوية والذات الحضارية ومدى ارتباط ذلك بالشريعة الإسلامية وهي محاولة لفهم ما يعتبره الباحث قضايا وأمورا غامضة والهدف من ذلك بالطبع ليس مجرد المعرفة وإنما هو الرقابة كما يصرح الكاتب نفسه (تشكّل إجاباتي دليل عمل على ما يتعيّن على المراقبين مراقبته، أكثر منها محاولة لتقديم المشورة للمصريين بأي حال من الأحوال بشأن الخيارات التي ينحازون إليها أو لدفع بعض التفسيرات أو المقاربات بوصفها مفضّلة على ما سواها من تفسيرات ومقاربات).

إننا إذن بالفعل تحت مرصد الرقابة الغربية والأمريكية تحديدا بحيث يكون ما نناقشه ونفكر فيه ونطرحه معروف مسبقا ومن ثم فلا مجال للمفاجأة بحال.

والرقابة لابد أن يتبعها التدخل لتعديل المسار وفقا لإرادة الرقيب.. هذا التدخل له مسارات مختلفة متنوعة وهذه الدراسة وإن كانت تعني بالدرجة الأولى تقديم رؤية تفصيلية دقيقة لصانع القرار الغربي فإن الهدف الثاني من هذه الدراسة هو تقديم نصائح ضمنية ورسائل للعلمانيين المصريين باعتبارهم المثلين الطبيعيين لمبادئ الغرب والامتداد الحيوي له.

التفكيك الناعم

والأمر اللافت للنظر أن الدراسة على الرغم من محاولاتها التظاهر بالموضوعية فيما يتعلق بالشريعة الإسلامية إلا أنها تحاول تفكيكها بطرق ناعمة أو منح مفاتيح التفكيك للعلمانيين ودعاة حقوق المرأة عن طريق ما تطلق عليه ثغرات كبيرة (مثل ما حدث في عام الرمادة مثلا) يتضح هذا الانحياز ضد الشريعة والرغبة في تفكيكها في هذه الفقرة التي تتحدث عن المادة الثانية من الدستور المصري والتي تنص على أن مبادىء الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع (والواقع أن قلّة عدد التغييرات

(❖) كاتبة مصرية.

التي اقتُرِحَت على هذه المادة أمر مثير للدهشة. فقد يقترح أحدهم أحياناً بتواضع أن يتم إسقاط «الـ التعريف» (أضيفت في تعديل العام ١٩٧٩)، بحيث تصبح مبادئ الشريعة الإسلامية مجرد مصدر من مصادر التشريع بدل أن تكون مصدر التشريع).

من الرسائل الضمنية التي توجهها هذه الدراسة للعلمانيين وهي رسالة بالغة الأهمية والخطورة وهي إرشادهم لاستخدام آليات الديمقراطية لتفكيك الشريعة من الداخل عن طريق تحديد الجهة المخولة بتفسير أحكام الشريعة كما سيتم التوضيح لاحقا.

المرأة في المقدمة

ومن الأمور التي ينبغي التوقف أمامها طويلا لأهميتها البالغة أن القضايا المتعلقة بالمرأة والأسرة احتلت حيزا كبيرا من الدراسة فعند الحديث عن أحكام الشريعة لم يتناول غير قضيتين اثنتين هما المرأة وغير المسلمين.

واحتل الحديث عن قوانين الأحوال الشخصية جزءا كبيرا من الدراسة (لكن، حتى لو كان من المفترض أن تكون قوانين الأحوال الشخصية متجذّرة في الشريعة الإسلامية، فليس من الواضح ما هو تفسير الشريعة الذي ينبغي أن تقوم عليه تلك القوانين. فقد ألقيت مسؤولية المهمة على عاتق البرلمان، حيث لا يزال قانون الأحوال الشخصية الحالي في مصر يُسَنّ، حتى ولو كان مُستمَدّاً من المصادر الإسلامية، من جانب هيئة منتخبة شعبياً. وهنا يدور معظم النقاش: ما هي أجزاء التراث القانوني الإسلامي التي ينبغي تدوينها وتنسيقها من خلال التشريعات البرلمانية؟ وما التفسيرات الأكثر ملاءمة لمصر الآن؟) ونلاحظ هنا استخدام آليات الديمقراطية والبرلمان الشعبي المنتخب لعملية انتقاء برجماتية للأحكام الشرعية خاصة ما يتعلق بالمرأة والأسرة.

ما الذي تقوله الشريعة الإسلامية عن حقوق المرأة؟

تحت هذا العنوان جاءت فقرة طويلة في دراسة براون وهي فقرة بالغة الأهمية وتأتي أهميتها من أنها لم تتسق للصورة التقليدية النمطية المشوهة للمرأة والأسرة في ظلال الإسلام والشائعة في الغرب .. ربما لأن هذه الدراسة مقدمة لصانع القرار الغربي وبالتالي فهي تتحرى الدقة بالقدر الذي يفهمه الباحث لأن رؤيته وإن كانت أفضل من الرؤية المشوهة التقليدية إلا أنها ناقصة ومبتسرة إلى حد بعيد (على العموم، الشريعة الإسلامية ليست محايدة بشأن الإشارة إلى الجنوسة (ذكر- أنثى) في مسائل الأحوال الشخصية، ولكنها تضع بدل ذلك شبكة متمايزة من الحقوق والواجبات على الزوج والزوجة والأبناء والبنات. وعموماً، يُتوقَّع من الأزواج توفير دعم مادي وبيئة منزلية صحية (الفشل في تقديم الدعم أو الإساءة يمكن أن يكون أساساً لأن تطلب المرأة الطلاق). ويُتوقَّع من الزوجات قبول سلطة أزواجهن. يمكن للزوج تطليق زوجته من جانب واحد؛ ولا يمكن للزوجة أن تفعل ذلك (في النظام القانوني المصري القائم على الشريعة)، لكن يمكنها تقديم التماس إلى المحكمة كي تأمر بطلاقها في الحالات التي يفشل فيها الزوج في الوفاء بالتزاماته. ويأتي العرف على رأس قائمة القانون القائم على الشريعة. على سبيل المثال، يمكن توقُّع أن يتعهّد عريس مُرتَقب بدفع مبلغ كبير من المال مستحقّ لخطيبته إذا طلّقها، ما يجعل ممارسة حقوق طلاقه، أحياناً، مكلفة للغاية).

ومن الواضح أن الدراسة مستاءة من مسألة موقف الشريعة من الجنوسة أو الجندر كما جاء في الوثائق الأممية ومن المؤكد أن الدراسة اختزلت قضية الحقوق والواجبات بشكل مخل ومنحت قضية الطلاق مساحة ضخمة جدا وكأنها هي مشكلة المرأة المسلمة الأولى.

ليس ذلك فحسب وإنما هناك توجيه من الدراسة للعلمانيين ودعاة حقوق المرأة للمطالبة بقانون مدني للأحوال الشخصية وينتقد العلمانيين لموقفهم المتخاذل من إقرار مثل هذا القانون (بدل التصريح عن أسباب تأييدهم لإقرار قانون مدني أو قانون

محايـد تمامـاً بـشأن موضـوع الجنوسـة (ذكـر– أنثى)، ركّـز دعـاة حقـوق المـرأة – علـى مـزيج مـن المعتقـدات الدينيـة الحقيقيـة، وقبـول الواقـع السـياسي، وإدراك أن المسـاواة القانونيـة في مجتمـع لا يحقّق المساواة يمكـن أن تُضعِف في الواقـع الأطـراف الثانويـة (معظـم اهتمـامهم علـى تعبئـة الـدوائر الانتخابيـة دعمـاً لتفسيرات للشريعة الإسـلامية تمـنح المـرأة وضعـاً أقـوى). علـى سـبيل المثـال، هـم ضغطوا بنجـاح لإدخـال تعـديل علـى قـانون الأحـوال الشخـصية يـسمح للمـرأة بتقـديم التمـاس للمحكمـة للحـصول علـى الطـلاق إذا كانـت علـى اسـتعداد للتخلّـي عـن معظـم حقوقهـا الماديـة ومطالباتهـا في التـسوية. فـأمكنهم بـذلك دعـوة بعـض علمـاء الـدين إلى دعـم موقفهم.

خطة العمل

تـأتي الفقـرة الأخـيرة مـن الدراسـة بعنـوان بـالغ الاسـتفزاز وهـو (مـا الـذي ينبغـي علـى الغـرب مراقبتـه في مـصر) ولـن يكـون مـن المـستغرب أن تكـون قـضايا المـرأة والأسـرة علـى رأس الأمـور الـتي ينبغـي مراقبتهـا عـن طريـق مراقبـة مـا الـذي سـيحدث في قـانون الأحـوال الشخـصية ومـصير الاتفاقيـات الدوليـة خاصـة اتفاقيـة سـيداو ومـصير التحفظـات الـتي وضـعتها مـصر علـى الوثيقـة ألا وهـي توافقهـا مـع الـشريعة الإسـلامية ومراقبـة الجهـة الـتي سـيعهد إليهـا تفـسير الـشريعة الإسـلامية وهـذه هـي العناصـر الـتي اقترح الباحث مراقبتها:

• مـا العناصـر الـتي ينبغـي تعديلـها في قـانون الأحـوال الشخـصية المـصري الحـالي، ومـا الـذي يجـب أن تقوله؟

• مـا الـذي ينبغـي أن يكـون عليـه هيكـل المحكمـة الدسـتورية العليـا حيـث مـن المـرجّح أن تكـون لهـا سـلطة تفـسير أي اصـطلاحات دسـتورية بشأن الإسلام؟

• كيـف يجـب أن يُـنَظَّم الأزهـر؟ ومـا الـذي ينبغـي أن تكـون عليـه طبيعـة دوره في الدولـة المـصرية ومـدى نفوذه الاجتماعي؟

• كيـف يجـب أن يكـون هيكـل مؤسـسات الدولـة الدينيـة الأخـرى، مثـل دار الإفتـاء المـصرية (مفـتي الجمهوريـة، مـسؤول عـن تقـديم تفـسيرات الشريعة الإسلامية)؟

• مـا الأولويـة الـتي يجـب أن تُعطـى لإصـلاح القـانون الجنـائي (بـشأن هـذه المـسألة، مـن الـصعب تجنّـب أحكـام الـشريعة الإسـلامية وهـي مَـستقطبَة للغاية)؟

• مـا الـذي ينبغـي أن يكـون عليـه وضـع الوثـائق الدوليـة المختلفـة لحقـوق الإنـسان الـتي وقّعـت عليهـا مـصر؟ ومَـن يجـب أن يكـون مـسؤولاً عـن تفـسير التحفّظـات القائمـة علـى تلـك الوثـائق؟ (علـى سـبيل المثـال، تـصديق مـصر علـى لجنـة القـضاء علـى التمييـز ضـدّ المـرأة يـشمل الـتحفّظ التـالي في مـا يتعلـق بالمـادة الثانيـة مـن الوثيقـة: «إن جمهوريـة مـصر العربيـة علـى اسـتعداد للامتثـال إلى مـضمون هـذه المـادة، شـريطة ألا يخـالف هـذا الامتثـال أحكـام الـشريعة الإسلامية»).

هـذه الأمـور الـتي ينبغـي مراقبتهـا هـي ذاتهـا خطـة العمـل الـتي ينبغـي علـى العلمـانيين أن يتحركـوا وفقـا لها:

ـ فقـانون الأحـوال الشخـصية لا بـد مـن بـدء الـدعوة للمطالبـة بقـانون مـدني يحـل بـديلا عنـه وهـذا القـانون لابد أن يشمل مساواة كاملة بين الجنسين.

ــ أن تكـون للمحكمـة الدسـتورية العليـا القـول الفـصل فيمـا يتعلـق بأحكـام الـشريعة وبـالطبع يجـب أن تكـون هـذه المحكمـة متوافقـة فكريـا مـع هـؤلاء العلمـانيين وبالتـالي يـسهل تفكيـك الـشريعة داخليـا وفي المقدمة من ذلك ما يتعلق بحقوق المرأة والأسرة .

ــ تقلـيص نفـوذ الأزهـر الاجتمـاعي وتحديـد صلاحياته.

ـ إعـادة هيكلـة المؤسـسات الدينيـة المختلفـة للعمـل بـشكل متنـاغم لتقـديم تفـسيرات مرنـة لأحكـام الشريعة خاصة ما يتعلق بالأحكام الجنائية.

ـ العمل الدؤوب على التصديق على اتفاقية سيداو وإلغاء التحفظات السابقة عليها.

المشكلة العراقية: الأقاليم هي الحل

الدكتور عدنان الدليمي(*)- رئيس جبهة التوافق العراقية سابقا

ينص الدستور العراقي على أن العراق دولة اتحادية برلمانية، واستناداً لهذا النص تَشكل إقليم كردستان الذي يشمل ثلاث محافظات متكاملة جغرافياً وسكانياً وعرقياً، وهي: السليمانية وأربيل ودهوك الواقعة في المنطقة الشمالية من العراق، والتي تمتد حدودها إلى الجارة الشرقية إيران والجارة الشمالية تركيا ويحد جزء منها سورية من المغرب، وتلاصق أربع محافظات غالبية سكانها سنة، وهي: نينوى وكركوك وصلاح الدين وديالى.

والكرد كلهم سنة ويتمذهبون بالمذهب الشافعي، والكرد يهمّون بضم بعض المناطق إليهم، من المحافظات السنية، وقد أطلق عليها في الدستور العراقي مناطق متنازع عليها، والتي تتضمن المادة (١٤٠) من الدستور طرق حلها دستورياً، وما زالت هذه المادة محل نزاع بين الحكومة المركزية وحكومة إقليم كردستان، ويمكن حل هذه المشاكل بالتفاهم بين الأطراف المعنية.

والعرب السنة ينظرون إلى تجربة إقليم كردستان، وازدهاره بسبب حكمهم الحر لهذا الإقليم ونجاحهم في إدارته وتقدمه في كل المجالات السياسية والعمرانية والاقتصادية والأمنية على أنها النموذج الفريد للحكم الذاتي ويتطلعون إلى الاحتذاء بهذه التجربة الرائدة، ومما أكسب هذه التجربة رضا وإعجاب أبناء السنة أنها أصبحت ملاذاً ومأوى لقطاعات كبيرة من أبناء السنة العرب المتلهفين للعيش بأمان واستقرار ورفاهية، فاستقطب إقليم كردستان أعداداً كبيرة من الأطباء والأكاديميين والتجار ورجال الأعمال والمشمولين بالاجتثاث والإقصاء من الضباط وكبار الموظفين العاملين بأجهزة الدولة السابقة.

فهذه العوامل الإيجابية، إضافة لمواد الدستور التي تتبنى إقامة إدارة البلاد على اللامركزية وذلك بجواز إعطاء الحكم الفدرالي للمحافظات، وفق شروط نظمتها المادة (١١٩) من الدستور العراقي الذي بموجبه تأسست الجمهورية العراقية التي أعقبت الاحتلال الأمريكي، فهذه العوامل مجتمعة دفعت نخبة فاعلة في المناطق السنية بالمطالبة بإقامة أقاليم خاصة بهم، فتحركت محافظة ديالى ذات الأغلبية السنية فطالب مجلس محافظتها بهذا الحق الدستوري، فتصدت لهذا المطلب الدستوري الميليشيات الشيعية المؤيدة من قبل الحكومة المركزية فحاصرت مقر المحافظ السني ومجلس المحافظة مما اضطر المحافظ إلى أن يخرج من مركز المحافظة بمدينة بعقوبة ويلوذ بالمنطقة المسيطر عليها من الكرد، ومن ثم يستقيل. وجرت اعتقالات نالت قسماً من مجلس المحافظة ونشطاء السنة ووقعت أعمال إرهابية ضد أبناء السنة المتنفذين في ديالى من علماء ورؤساء عشائر وأعضاء في مجلس المحافظة الذي هو بمثابة برلمان المحافظة لأنه منتخب من قبل شعب المحافظة.

ثم تحركت القوى السياسية الفاعلة في محافظة صلاح الدين فطالبت بإقامة إقليم في المحافظة وهو حق دستوري، وجرت خطوات ناجحة في ذلك ولكن الحكومة المركزية وأدَتها، وما زال قادة المحافظة من سياسيين وعشائر ونواب يواصلون مساعيهم الحثيثة لإقامة هذا الإقليم، وقاموا بخطوات دستورية فاعلة، وإلى الآن لم يتحقق هذا الأمل الذي يراود جمهور أبناء المحافظة، وأنا لا أزعم أنه ليس هناك من يرفض الدعوة لإقامة الأقاليم (الفدرالية) في المناطق السنية، وأصحاب هذا الميل يخلطون بين قضية إقامة الأقاليم والتقسيم، فأبناء السنة حريصون على وحدة العراق شعباً وأرضاً ودولة.

وهذه الشبهة (شبهة التقسيم) دفعت علماء

(*) كاتب عراقي.

محترمين لإصدار فتاوى تحرم الدعوى للأقاليم، فقوبلت هذه الفتاوى بردة فعل من علماء آخرين استهجنوا هذه الفتاوى غير المدروسة والتي لا تستند على حقائق الشرع والمصلحة العامة لجمهور أبناء السنة، فالنظر إلى مصالح الأمة هو المقصد الأساسي للشريعة الإسلامية، فإقامة الأقاليم تضمن تحقيق تمسك الأمة بهويتها الإسلامية السنية.

والأقاليم ليست بدعة من البدع، فالدولة الإسلامية منذ تأسيسها كانت قائمة على فكرة الأقاليم، فالإمارات والولايات الإسلامية هي ما يعبر عنه الآن بالأقاليم، ولكن إمارة أو ولاية حدود وعامل يقوم بإدارتها ويرتبط بالمركز سواء أكان المدينة المنورة أو دمشق أو بغداد والآن كثير من الدول الحكم فيها فيدرالياً كأمريكا وأوروبا وآسيا، وخاصة الدول التي فيها مشاكل عرقية أو دينية او مذهبية.

ويبدو لي أن الذين يعارضون إقامة الفيدرالية في العراق لم يقرؤوا الدستور العراقي أو لم يفهموا مضمونه إذ أن الدستور يحتوي على نصوص صريحة تُقر الأقاليم الفيدرالية وأرى أن حل المشكلة العراقية لا يمكن حلها إلا بالتوافق على إقامة الأقاليم، والحراك القائم في المحافظات السنية سينتهي عاجلاً أو آجلاً إلى قرار يمنح المحافظات السنية تشكيل الأقاليم لأن الحكومة المركزية لن توافق على مطالب هذه المحافظات وأنها سوف تسوّف وتراوغ وتسعى بكل ما تستطيع من وسائل لإفشال هذه الاعتصامات، وأبناء السنة المظلومين لن ينهوا اعتصاماتهم إلا إذا تحققت مطالبهم، فالوضع العراقي شائك والفجوة كبيرة بين الحكومة والمعتصمين وحلّ المشكلة سيكون بطريقة من ثلاثة طرق:

١- التقسيم، وهذا ما ذكره رئيس الوزراء قبل أيام، وأبناء السنة من أحرص العراقيين على وحدة العراق.

٢- المجابهة المسلحة أو ما يسمى بالحرب الطائفية وهذا ما أشار إليه رئيس الوزراء في خطابٍ سابق، وهذه كارثة مدمرة ليس فيها رابح، فالكل سيخسر.

٣- الإقرار بتشكيل الأقاليم ومنح المحافظات السنية هذا الحق الدستوري، وهذا هو الحل الذي يضمن حقوق المحافظات السنية، ويضمن وحدة العراق ويحافظ على هذه الوحدة، ويبقي السنة ضمن العراق الموحد، وذلك لوجود أربع ضمانات هي:

❖ الدستور الذي يخضع له جميع العراقيين على مختلف أعراقهم ومذاهبهم ودياناتهم.

❖ والجيش الموحد بشرط أن يطبق التجنيد الإلزامي الذي كان سائداً منذ تأسيس الدولة العراقية.

❖ الميزانية الموحدة الموزعة على المحافظات بحسب النسب السكانية، كما كان معمولاً به منذ تأسيس الدولة العراقية.

❖ تمثيل العراق في الدول الأخرى، وقد أباح الدستور للأقاليم بأن يكون لها ممثلون في كل السفارات.

وأعتقد جازماً أن المتصمين في نهاية الأمر سيدعون إلى إقامة أقاليم لمحافظاتهم، وستضطر الحكومة الحالية أو القادمة التي ستشكل سنة ٢٠١٤م إلى الاستجابة لهذا المطلب الدستوري، وعند ذلك سيستقر العراق ويبدأ مرحلة جديدة يسودها الأمن والتقدم والإخاء والمساواة والعدل والمحافظة على هوية جميع مكونات الشعب العراقي.

وبعد هذه التوطئة المطولة أحب أن أعالج أمرين، الأول: فوائد إقامة إقليم أهل السنة، وإن شئت سمه (إقليم وسط العراق)، والثاني: إزالة الشبهات العالقة في أذهان جمهور من أبناء السنة الذين يعارضون إقامة هذا الإقليم السني أو إقليم وسط العراق.

ونحن دعاة الأقاليم أخشى ما نخشاه إذا بقي الحكم المركزي ذو النهج الطائفي المشدود بقوة إلى تحويل الهوية العراقية من هوية سنية إلى هوية شيعية بموجب الأكذوبة التي روج لها الأمريكان وإيران ودعاة الطائفية أن السنة أقلية وأن إسناد الحكم للشيعة أمر تفرضه الديمقراطية المزيفة التي أراد الأمريكان أن يفرضوها على العراق، فإقامة الأقليم السني ستعمل عى المحافظة على الهوية السنية لمحافظاتنا، بما يقرره الدستور من صلاحيات تشريعية وتنفيذية وقضائية لهذا الإقليم، ويأتي في مقدمتها الحفاظ على المناهج الدراسية في التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي في الدراسات الأولية والعليا.

والمحافظة على الهوية الإسلامية العربية السنية من أهم مقاصد هذا الإقليم، ونحن نلاحظ الآن هجمة طائفية شرسة على تاريخ أمتنا الإسلامية، والطعن برموزنا التاريخية ابتداء بأبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعائشة أم المؤمنين ومعاوية وبني أمية وسائر الصحابة وعظماء الأمة، فجميع هذه الرموز التاريخية عرضة للطعن والسب والازدراء، فتشويه التاريخ الإسلامي مقصد مهم عند المرجعيات والأحزاب الشيعية، بل حتى عند عامة الشيعة المنقادين لمرجعياتهم وأحزابهم.

وهناك هجمة واسعة يقودها وزير التعليم العالي الشيعي الحالي تهدف إلى تغيير المناهج الدراسية بالاستعانة بالجارة إيران لطبع آلاف الكتب التي تتبنى نظرة التطرف الشيعي، وإحلالها محل الكتب الدراسية المعمول بها منذ تأسيس الدولة العراقية في المدارس والجامعات في بغداد وسائر المحافظات، وإن تم ذلك وهو سيتم حتماً سيحدث تغييراً آيديولوجياً في ذهن الطلبة عامة من الابتدائية والثانوية والجامعية، وهذه كارثة يجب التصدي لها، وإن إقامة الإقليم السني هو جزء مهم من هذا التصدي، فالحفاظ على الهوية السنية في جميع مراحل التعليم أمر ضروري وواجب ينبغي على قيادات أهل السنة الدينية والسياسية والعشائرية أن تتصدى له.

ولا بد من الوقوف في وجه دعاة الطائفية المرتبطين بأجندات خارجية مناهضة لتاريخ الأمة وتراثها الممتد إلى مئات السنين.

وهناك من أبناء السنة من يتخوف من قطع الحصص المالية المخصصة للإقليم من قبل المركز، لأن الميزانية العامة محصورة بيده بموجب الدستور العراقي، والعراق بلد نصف موارده المالية في أغلبها محصورة بالموارد النفطية، والمركز إن فعل هذا سيخالف الدستور الذي ينص على أن موارد النفط والغاز والمعادن المكتشفة هي ملك لجميع العراقيين، فالمركز إن ارتكب هذا الأمر المخالف للدستور فعلى الإقليم أن يقف بوجهه، ويتبع كل الأساليب المشروعة لإرغامه على دفع المستحقات المالية للإقليم، ويمكن الاستعانة بالأمم المتحدة والجهات المعنية بحقوق الإنسان والجامعة العربية وكل المنظمات الدولية لتحقيق العدل ولإرغام الحكومة المركزية على الاستجابة لهذا المطلب الدستوري الذي يوجب على المركز دفع المستحقات المالية للإقليم.

ولنا أسوة حسنة بإقليم كردستان، فالمركز على الرغم من خلافه مع الإقليم، لم يستطع أن يقطع الموارد المالية المخصصة له في الميزانية العامة، وهناك وسائل ضغط مشروعة يمكن أن يقوم بها الإقليم، فالموارد المائية تأتي عبر المحافظات السنية، فدجلة والفرات يدخلان عبر هذه المحافظات، والسدود المائية كلها في المحافظات السنية، فسد الموصل وسد سامراء والثرثار وبحيرة الحبانية وسد الورار وسد حديثة كلها في المحافظات السنية، فضلاً عن أن مناجم الكبريت والفوسفات والزجاج والغاز كلها في هذه المحافظات، والمنافذ الحدودية مع تركيا وسوريا والأردن والسعودية تمر من خلال أراضي هذه المحافظات السنية.

وتمتاز محافظة الأنبار بوجود حقول نفطية غير مكتشفة، والدراسات عنها محفوظة وجاهزة

وهـذه المحافظـة غنيـة بالمعـادن غـير المكتـشفة، وإذا تحقـق الإقلـيم الـسني وإن شـئت سمـه بـإقليم وسـط العـراق سـيكون مـلاذاً لجميـع العـراقيين المـشردين والمهمـشين والمبـدعين في دول الجـوار والـدول الأخـرى وفـيهم خـبرات عـسكرية وأكاديميـة وطبيـة ورجـال أعمـال وأصـحاب رؤوس أمـوال ضـخمة سـيرفدون الإقلـيم الـسني، إن تحقـق بقـوة بـشرية متميـزة وسـيحدثون نهـضة عمرانيـة وعلميـة، وهـذا سـيعم فـضله علـى كافـة أرجـاء العـراق، ولـيس علـى الإقلـيم السني وحده.

وهنـاك تخـوف يبديـه كـثير مـن العقـلاء مـن أن يحـدث صـراع بـين المكونـات العـشائرية في الإقلـيم ولا سـيما في محافظـة الأنبـار، وهـذا التخـوف لا مـسوغ لـه إطلاقـاً فالعـشائر الأنباريـة متآخيـة وتـرتبط بـروابط التعـايش الأخـوي ولم يحـدث بينهـا أي نـزاع قبلـي منـذ تأسـيس الحكـم الـوطني في أوائـل القـرن الماضـي، قـد يحـدث تنـازع سياسـي يقـوده بعـض المنـتفعين، ولكـن الـوعي الـسياسي والثقـافي سـيوئد أي انـزلاق نحـو الـصراع القبلـي أو الحزبـي، وصـناديق الاقـتراع هـي الحكـم الفـصل فـيمن سيـصل إلى إدارة الإقلـيم، إن تحقـق، ولا بـد مـن نـشر الثقافـة والتوعيـة لهـذا الإقلـيم بنـشر المطويـات والنـشرات والبيانـات الـتي توضـح أهميـة هـذا المـشروع المفـصلي وتـدعو لـه، والإفـادة مـن الفـضائيات المعتـبرة لنـشر ثقافـة عامـة بـين أبنـاء الـسنة المؤيـدين والرافـضين لـه علـى حـد سـواء ولا بـد مـن تـشكيل مجموعـة عمـل لدراسـة هـذا المشروع والعمـل لـه، والتـشاور مـع العلمـاء الـشرعيين لإزالـة الـشبهات العالقـة في أذهـانهم بـصدد هـذا المـشروع الـذي هـو في حـصيلته سـينقذ مـا تبقـى في العراق من أبناء السنة المهددين بالتطرف الشيعي.

وإن لم يتـدارك أبنـاء الـسنة في العـراق وضـعهم المأسـاوي سـيكون مـصيرهم مثـل مـصير سـنة إيـران الـذين ذابـوا مـن سـنوات بعيـدة تحـت مطرقـة التـشيع الزاحـف والمـدعوم مـن قبـل إيـران وأمـوال إيـران الـساعية إلى نـشر المـذهب بكـل الوسـائل وخاصـة المـال والدعايـة النـشطة مقابـل غفلـة البلـدان الـسنية المـشغولة بمـشاكلها الداخليـة والخائفـة مـن الحركـات الـشعبية المتأججـة في بلـدانها، ولا بـد مـن صـرخة قويـة تـوقظ الحكـام المسلمين مـن أبنـاء الـسنة تـدفعهم للتعـاون والوقـوف في وجـه هـذه الهجمـة الشرسة على أهل السنة.

ويـثير قـسم مـن الإخـوان الـسنة المخلـصين المـشاركين في العمليـة الـسياسية أو الرافـضين لهـا مـن أنـه إذا قامـت الأقـاليم سـيتعرض أبنـاء الـسنة في بغـداد ومحيطهـا لمخـاطر جمـة، وسـتنفرد بهـم الميليـشيات الـشيعية والأحـزاب الـشيعية والحكومـة في المركـز لمـضايقات قـد تـصل إلى الإبـادة، ولهـذا فلـيس مـن مـصلحة الـسنة أن تقـام الأقـاليم فهـذه الحجـة واردة، وإنـي علـى كثـرة صـلتي بأهـل بغـداد لم أجـد أحـداً مـنهم أبـدى أي اعـتراض، بـل أغلـبهم إن لم أقـل كلـهم يرحبـون بإقامـة إقلـيم لهـم، وعلـى أقـل تقـدير إقلـيم الأنبـار الـذي هـو امتـداد لبغـداد، وأحـب أن أقـول لهـؤلاء المـشككين إن الـسنة العـرب مـشاركون في العمليـة الـسياسية ولهـم نـواب في البرلـمـان العراقـي ولهـم وزراء في الحكومـة العراقيـة وهـم أقويـاء ويناضـلون مـن أجـل الـدفاع عـن الـسنة بكـل قـوة وجـرأة، وفـيهم مـن تعـرض للإقـصاء والتهمـيش بـل الملاحقـة القانونيـة وصـدرت أحكـام متعسفة ضدهم.

والـسجون والمعـتقلات تغـص بعـشرات الآلاف مـن أبنـاء الـسنة بـل مئـات الألـوف، ولكننـا في الوقـت نفـسه لم نـسمع أن كرديـاً واحـداً قـد اتهـم بجريمـة سياسـية، ولم يلـق القـبض علـى أي كـردي بتهمـة المادة أربعة إرهـاب، فمـا الفـرق بـين الحـالتين، والكـرد والعـرب متـساوون في المـشاركة الـسياسية فلمـاذا التعـسف والكيـد كلـه موجـه للعـرب الـسنة

ولم ينل شيء من ذلك الأخوة الكرد مع أن خلافهم مع المركز أعنف من خلاف العرب السنة.

هذا الفرق في التعامل آتٍ من أن للكرد إقليماً يدافع عن إخوانهم في بغداد وغيرها داخل الإقليم وخارجها، فلو أن للسنة إقليماً يملك قوة إرادة وقوة عسكرية وحكومة منضبطة متماسكة تدافع عن أبناء السنة داخل الإقليم وخارجه، لكان من الممكن والمستطاع المحافظة عليهم باعتبارهم مواطنين منتمين إلى العراق ولَما وقع الظلم عليهم ولما تحكم بهم الحكام الجائرون المستبدون ولتمكنوا من المحافظة على هويتهم العربية الإسلامية السنية. وربما يحدث خلل أو صراع في بدء تشكيل الإقليم، صراع تنافس سياسي أو حزبي لكن لن يصل في أي حال من الأحوال إلى صراع دموي كما حدث لإخواننا الكرد في تسعينيات القرن الماضي ولكن على الرغم من ذلك توحد الكراد وزال الخلاف بينهم.

وإذا تم للعرب السنة إقامة إقليم لهم فمن المرجح أن تجري توافقات سياسية أو اقتصادية أو علمية وتبادل منافع أو تجارب مع إخوانهم الكرد الذين يشاركونهم في مشتركات كثيرة على رأسها الأخوة الإسلامية والمذهبية والتاريخ المشترك.

وهناك عقبة كبيرة تقف في وجه الإقليم السني، أو إقليم وسط العراق أو غرب العراق هو تعسف الحكومة المركزية فستمانع الحكومة المركزية وتراوغ في إعطاء هذا الحق الدستوري لأبناء السنة وهذا يمكن التغلب عليه أولاً، بالإصرار عليه، ورفع الصوت عالياً للمطالبة به، ويقع جانب كبير منه على ممثلي السنة في مجلس النواب والمشاركين في الحكومة.

ثانياً: يمكن الاستعانة بالأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة الدول الإسلامية وجمعيات حقوق الإنسان في العالم للمطالبة بالضغط على الحكومة العراقية لتستجيب لهذا المطلب الدستوري بعد أن يستنفد أبناء السنة كل الطرق المشروعة للحصول على هذا الحق الدستوري الديمقراطي.

وهناك تخوف يبديه قسم من النشطاء السياسيين من أن الحكومة المركزية قد تسعى إلى ضم قسم من المحافظات السنية إلى حكومة المركز مثل مدينة سامراء بحجة وجود مرقدي علي الهادي والحسن العسكري فيها، وهذه الحجة باطلة فمدينة سامراء مدينة سنية، والمرقدان منذ وجودهما في عهدة أبناء السنة من أسر سامراء، يتوارثونهما منذ مئات السنين وقد حافظوا على رمزيتهما ولم يحولوا بين أبناء الشيعة من العراقيين وغيرهم من زيارتهما، ويجدون من أهل سامراء كل ترحيب ورعاية.

وسامراء ضمن محافظة صلاح الدين وأي تغيير في الحدود الإدارية غير ممكن، وأهل سامراء سيدافعون عن ارتباطهم بمركز محافظة صلاح الدين بكل ما يستطيعون من قوة سياسية وعشائرية، ولم تستطع الحكومة أن تفعل ما يخالف إرادة العشائر السامرائية القوية الثابتة المدافعة عن هويتها الإسلامية السنية، والحراك السلمي في المحافظات السنية.

وبعد تسويف الحكومة ومراوغتها وعدم استجابتها لتحقيق مطالب المعتصمين الدستورية، ستعمل اللجان الشعبية والتنسيقية المشتركة بإعلان إقامة هذا الإقليم الذي هو حق دستوري وديمقراطي. وعلى أبناء السنة أن يوحدوا صفوفهم ويبقوا متمسكين بمطالبهم المشروعة وأن يكون تحركهم سلمياً وأن يبعدوا المندسين من صفوفهم والداعين للمواجهات التي لا تخدمهم ولا تخدم العراقيين كافة، والله يثبتهم على الأمن والإيمان ويحقق على أيديهم كل الأهداف السامية التي يدعون لها. والله أسأل أن يطهر العراق من المستبدين والمفسدين والحمد لله رب العالمين.

خندق بحر الخليج..
مصدّات مذهبية على تصدعات سياسية (١)

د. عادل علي العبد الله(*)

تحاول هذه الورقة[1] الاطلاع على جانب من جدلية العلاقة الجيوسياسية على ضفتي بحر الخليج العربي بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومنظومة مجلس التعاون الخليجي، في ظروف التغيرات الإستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط، ومحاولة الولايات المتحدة إعادة هندسة سياستها تجاه هذه المنطقة من العالم منذ عام ٢٠١٠، وبروز حالة التغوُّل الإيراني بعد هيمنتها الواضحة على العراق وسوريا ولبنان، وتحوُّلها إلى قلق مستفز لحكومات وشعوب المنطقة.

مدخل

تحتاج جدلية العلاقة الجيوسياسية على ضفتي بحر الخليج العربي بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومنظومة مجلس التعاون الخليجي إلى بيانات وتوضيحات وتعليقات متواصلة لكون العلاقة متحفزة وغير مستقرة منذ إعلان الثورة عام ١٩٧٩م، فالأولى (إيران) إيجابية متحفزة والثانية (الخليج) سلبية ساكنة، ومع صعوبة الإلمام - توصيفا وتحليلا- بجميع الزوايا الحادة في تلك العلاقة المضطربة طيلة ثلاثين عاما من عمر الجغرافيتين التي يتم تسليط الضوء عليها بشكل كبير في هذه الفترة الحرجة من تاريخ منطقة ما يُعرف بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا (MENA).

والإجابة على التساؤل الحَرِج: كيف نتعامل مع طبوغرافيا السياسة الإيرانية، على أساس أن ضفتي الخليج من المفترض أن تكون من أهدأ مناطق العالم وأكثرها ازدهارا بالنظر إلى حاجة العالم الملحة لتدفق الطاقة المكنوزة تحتها دون تقلبات أو صراعات قد تَصعَد بتكلفة استخراج برميل النفط، وتؤدي إلى تضخم اقتصادي في الغرب يتبعه انهيار حكومات واضطرابات اجتماعية وتقلبات سياسية غير محمودة أو متوقعة النتائج، وهي نظرية عملت بها الولايات المتحدة الأمريكية منذ أن أعلن الرئيس أيزنهاور مبدأ الدعامتين (Twin Pillar) عام ١٩٥٧، لتأمين حدود الاصطفاف العالمي ثنائي القطبية ضد الاتحاد السوفييتي.

لكن فرض الانهيار الاقتصادي نهاية ٢٠٠٨ مجموعة مُغايرة من التحديات الخطرة أمام دوائر التفكير وصناعة القرار في العقلية الحاكمة على زمام أمور العالم المعاصر، فشهدت منطقة الشرق الأوسط تغييرا على المستوى الجيوستراتيجي، وبمحاولة الولايات المتحدة إعادة هندسة سياستها تجاه هذه المنطقة من العالم منذ عام ٢٠١٠ على أساس أنه:

- لم تعد مصر والأردن الدول الرئيسة لصياغة السياسات الإقليمية، بل سرعان ما سيخرجان من النظام الجديد الذي يتولَّد حديثا في الشرق الأوسط.
- وتحولت المملكة العربية السعودية إلى عبء أكثر من كونها رصيدا بالنسبة للولايات المتحدة، بسبب الهوية الوهابية التي هي سبب ضعفها، في حين يبقى أمنها واستقرارها على قمة الأولويات.
- ما زالت إسرائيل القوة الإقليمية الأبرز، رغم ضعفها النسبي، بسبب ظهور بيئة إستراتيجية غير متكافئة في المنطقة.
- كانت إيران نائمة نسبيا من ١٩٧٩ إلى ٢٠٠٤، لكنها منذ ٢٠٠٥ أخذت تلعب دورا إقليميا لا يُستهان به، ومشاريع نفوذها في جميع أنحاء الشرق الأوسط وآسيا الوسطى ومناطق أخرى من العالم.

(*) كاتب وباحث بحريني.

(١) أصل الفكرة ورقة قدمت في ورشة حول «المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية»، بالقاهرة في ١٤- ١٥ أكتوبر ٢٠١٢ بدعوة من مركز أمية للدراسات الإستراتيجية.

•كانت تركيا طيلة عقود العلمانية تُيَمم وجهتها إلى أوروبا (مع كونها حليفا قويا لإسرائيل)، إلا أنها غَيَّرت وجهتها في السنوات الأخيرة إستراتيجيا بالتركيز على منطقة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى بدلا من أوروبا، كما أنها استعادت هويتها الإسلامية وجعلتها أساسا لإستراتيجيتها الجديدة للأمن القومي، وبرهنت على أنها لاعب إقليمي جديد فاعل ومستقل.

•توثيق العلاقات الإيرانية التركية سرعان ما يجعل من البلدين مفتاح صناعة الرأي العام والقوة للمسلمين (شيعة وسنة) في المنطقة.

•للصين طموحات عالية، وقد تصبح القوة العظمى على المدى البعيد بحيث تنافس الولايات المتحدة بطرق لم يتمكن الاتحاد السوفييتي من بلوغها في ذروة مجده، وهي تسعى بقوة لتأمين اتفاقيات النفط والغاز في منطقة الشرق الأوسط التي يسيطر عليها المسلمون إضافة إلى وسط آسيا[1].

إن الولايات المتحدة الأمريكية مقتنعة أن وجودها العسكري المُكلِفَ في منطقة الشرق الأوسط لا بد له من نهاية قبل مرحلة الاستنزاف، كما أن بروز قوى إقليمية كإيران وتركيا إلى جانب إسرائيل، وتغيُّر معادلات التوازن الإقليمية بسبب الثورات العربية نهاية عام ٢٠١٠، كان المسمار الأخير في نعش «الشرق الأوسط القديم»، وبدء مخاض ولادة «الشرق الأوسط الجديد»، ما يعني أن عرَّاب السياسة الدولية سيفعل كل ما في إمكانه للحفاظ على مصالحه الحيوية والإستراتيجية في المنطقة.

على هذا تنحصر برامج مستقبل «الشرق الأوسط الجديد» بين دوائر نفوذ ثلاث هي: إسرائيل وتركيا وإيران، وهذه الورقة معنيَّة بالأخيرة (=إيران) وعلاقتها بالشريك المقابل على الجهة الغربية من بحر الخليج، الذي لم يهدأ منذ قيام الثورة المذهبية، ولعلها السبب الأرجح لميلاد منظومة التعاون الخليجية على الصيغة التي ولد عليها، وربما –بصورة نسبية- سببا منطقيا لتغليب الصفة الأمنية على التنموية لتلك المنظومة.

التاريخ كمقدمة

لم يشهد الخليج العربي حالة استقرار تنموي مستمرة بسبب موقعه الإستراتيجي وموارده الطبيعية، التي كانت مجالا للتنافس والصراع عبر تاريخه الطويل، وفي كل تلك المراحل كانت إيران حاضرة في مشهد «الصراع» وليس «الاستقرار»، وبخاصة في التاريخ الحديث منذ مجيء المستعمرين البرتغاليين بعد الكشوفات الجغرافية، وصراعهم مع الأتراك والقوى المحلية، ثم توجه الإمبراطورية الصَّفَوية إلى المنطقة ودخول القوى الأوربية بعد الثورة الصناعية، كالبرتغاليين والهولنديين ومن ثم انفراد بريطانيا بالهيمنة على بحر الخليج وجزره وموانئه.

سجلت الأحداث التي كانت تجري على مياه الخليج وشواطئه صعودا وهبوطا وتقدما وتأخرا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، وفي كل صورة من صوره توجد «نافذة إيرانية» تُطِلُّ من هنا أو هناك بسبب الجوار الجيوسياسي، وتَفَحُّص أحداث الماضي وتجاربه يعكس مدى تأثيرها في الحاضر، وهي دروس لابد منها للمستقبل[2].

ففي الجانب الاقتصادي لعب التجار المحليون دورا مهما في نقل التجارة قبل النفط عبر بحر الخليج العربي، الذي يعد مجالا حيويا للنشاط التجاري، وأحد ذراعي المحيط الهندي، الذي حملت مياهه موارد البلاد العربية وشرق أفريقيا وشبه القارة الهندية إلى العالم والعكس، فكانت فترة

(١) لخصت مجموعة الاتصال الدولية [www.capcomgroup.com] في مقالين النظرة الأمريكية وطريقة تفكيرها تجاه القضايا المفصلية لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، أولها بعنوان: The Real New Middle East Order، وثانيهما بعنوان: Oil Security at Risk- بقلم أكرم إلياس، أكتوبر ٢٠١٠.

(٢) يراجع: عبدالمالك التميمي: النهوض والهبوط في تاريخ منطقة الخليج العربي، مجلة العربي (العدد ٤٥٨، مايو ٢٠١٠).

صعود ونهوض عندما لعب قطاع مهم من سكان المنطقة دورا في التجارة العالمية آنذاك.

ومع وصول الشركات الأوربية التجارية، وعملها على منافسة واحتكار أنشطة المنطقة أدى إلى تهميش دور التجار، فأخذ دورهم في التدهور بفعل تخلُّف الوسائل ومحدودية التمويل مُقارنةً بمنتجات الثورة الصناعية على وسائل النقل البحري والرساميل الأوربية للمتطفل الجديد، إلى جانب مصادرته - تحت حماية البارجات الحربية- لدورهم، فكانت المحطة الأولى لتمركز تلك القوى الأجنبية جزر الإمبراطورية الصفوية على باب مضيق هرمز، التي منحها «عباس شاه» الامتيازات التجارية، ومكّن لها التحكم في المضائق والممرات المائية في بحر الخليج؛ تدعيما لوضعه السياسي، وقطعا لطريق الأسطول العثماني في بحر الخليج، لكن التحركات الصفوية أثرت على الصناعات الحرفية المحلية أمام المنتجات الصناعية للدول المتقدمة، فسجلت هبوطا لم يقابله نهوض في مجالات اقتصادية أخرى، فتحوَّل سكان الخليج إلى سوقٍ استهلاكيةٍ مفتوحة لمنتجات الآخرين الصناعية.

أما العصر النفطي فقد شهد نهوضا وهبوطا اقتصاديا في آن واحد؛ كان النهوض في استخدام جزء من عائدات النفط في البنية التحتية والمدنية، وارتفاع مستوى معيشة الفرد، وبروز صناعات لمشتقات النفط، لكن الضريبة كانت اتساع الهوة بين ثلاث طبقات مجتمعية: الأغنياء والوسطى والفقراء، مع تدنّي جودة الصناعات الوطنية وعدم حمايتها، إلى جانب هدر الثروات الوطنية والموارد الطبيعية، وعدم وجود إستراتيجية اقتصادية على مستوى البلد الواحد وعلى مستوى المنطقة، والدور الثانوي لطبقة التجار في عجلة الاقتصاد الذي لا يتعدى دورهم كوكلاء للشركات والمصنوعات المستوردة، فضلا عن حلم السوق الخليجية المشتركة الذي لم يتحقق طيلة ثلاثة عقود بعد قيام تعاونية الخليج، وأيضا كانت «إيران الشاه» حاضرة في المشهد بمنافستها النفطية الشديدة، ومحاولة عرقلة قيام اتحاد سوق نفطي لدول الخليج، عبر استخدام نفوذها كشرطي للخليج آنذاك، والممثل للرأسمالية الأمريكية، ومحاولة إقصاء المملكة العربية السعودية –التي دخلت بقوة وثقل- لتكون هي شريكا للشاه للمصالح الأمريكية في المنطقة.

أما الجانب السياسي فقد تعرضت منطقة الخليج العربي عبر تاريخها إلى موجات استعمارية استهدفت ثرواتها وموقعها الإستراتيجي، فجاء الأوربيون ليتنافسوا ويتصارعوا على مياهه وأرضه منذ القرن السادس عشر بدءا بالبرتغاليين ومرورا باحتكار الإنجليز - وهذه كلها كانت تنطلق من مقر المعتمد/ الوكيل التجاري المقيم في بوشهر أو بندر عباس- وانتهاء بالأمريكان الذين فضَّلوا الساحل الغربي من الخليج بعد المرحلة البهلوية.

فعلى المستوى السياسي كانت تلك الفترات مراحل تدهور وهبوط في أوضاعهم السياسية، بيد أن القوى المحلية من يَعاربة وبوسعيديين والقواسم والخليفة قد لعبوا دورا في مواجهة تلك القوى، وكانت فترات المقاومة العربية في المنطقة فترات نهوض وصعود مثلتها تلك المقاومة، على الرغم من إمكاناتها المحدودة وغير المتكافئة مع إمكانات القوى الاستعمارية.

وتجدر الإشارة إلى أن ذلك النهوض والصعود قد شابه الكثير من النكوص والتشويه عندما قام الصراع بين تلك القوى المحلية؛ مما فتح الباب لتسلل القوى الأجنبية واستغلالها للأوضاع وتأليب طرف ضد الآخر، وكان لـ «نادر شاه» نصيب الأسد في تلك الفترة من الهجمات بالسفن الهولندية على الجزر وشبه الجزر العربية بقصد الاحتلال والهيمنة، ومن ثم الانتداب والهيمنة الإنجليزية على ضفتي الخليج، أعقبتها تدخلات الحماية الأمريكية، ودخول المنطقة بأسرها مرحلة «الفوضى الخلاّقة».

وبدخول العصر النفطي في الربع الأول من القرن العشرين تهيأت لها الظروف لتتحول المشيخات

الكلاسيكية إلى دول عصرية، ومن مقومات الكيان السياسي السيطرة على مصادر الثروة في كل بلد من بلدان المنطقة، وتوجيه عائداتها نحو التنمية، وأن ذلك قد شهد أيضا نموا وهبوطا، فقد ظلت العقلية العَشائرية تسحب نفسها على الأوضاع بعد قيام الدول، لكن المنطقة شهدت تفاعلا سياسيا إيجابيا فيما بعد قيام الدولة والاستقلال بالانتقال من الإمارة إلى الدولة، ومن المجتمع القبلي التقليدي إلى المجتمع المدني المعاصر القائم على المؤسسات، وشهدت هذه الدول الناشئة في المنطقة صعودا وهبوطا في نهجها وممارستها السياسية.

لقد كانت إيران في عمق المشهد السياسي في المنطقة بعد مرحلة الثورة الخمينية، فقد عاشت القوى السياسية الخليجية مشكلات فكرية وأيديولوجية شكلت ترددات هبوط مزمن، بل لم تنضج بعد إلى الحد الذي يمكنها من أن تساهم في التطور السياسي في المنطقة، ودون أن ننفي الوعي السياسي الشعبي الذي يمثل ظاهرة إيجابية، فقد عملت القوى السياسية اليسارية التي يغلب عليها التوجه الماركسي أو التشيُّع على الاندغام والتواؤم مع حركة الثورة الخمينية بداية، فعملت على نشر الفتنة في نسيج المجتمعات الخليجية باسم المذهبية والطائفية، والمظلومية التقليدية للعقل الجمعي الشيعي.

وأما الجانب الاجتماعي، فأساسه في منطقة الخليج العربي - عبر التاريخ- «القبيلة» وأدواتها السياسية، وهي مؤسسة اجتماعية لعبت دورا محوريا في المحافظة على كيانها ومصالحها، لكن منطق الواقع المُتَبَدِّل فرض عليها التحوُّل المتثاقل من «مبدأ القبيلة» والحكم العشائري إلى «مبدأ الدولة» ومؤسساتها القانونية، والابتعاد التدريجي عن كثير من القيم والعادات والسلوك القبلي على أساس فردي (العصبية القبلية، والفكر القبلي التقليدي)، حتى قُبيل مرحلة النفط، فكانت تتجه نحو المجتمع المدني المؤسسي الحديث في مجال التجارة البحرية والبرية، والعمل الجماعي التطوعي في مواجهة الأزمات والكوارث، كما كانت النخب المتعلمة المثقفة في هذا المجتمع تؤطِّر نفسَها في مؤسسات أهلية تطوعية، مثل المدارس والجمعيات والنوادي، إلى أن جاءت عائدات النفط الوفيرة لتتحمل الحكومات مسؤولية الإنفاق على مجالات البنية التحتية، فنشأت المؤسسات الحكومية أو الأهلية المدعومة من الحكومة، ومرة أخرى كانت النافذة الإيرانية مفتوحة على النسيج المجتمعي، من خلال المحاضن الدينية والتربوية، والأعمال الخيرية والتطوعية، فحفر خطباء ووكلاء «ولاية الفقيه» الخندق الطائفي في جسد المجتمع الواحد، فلم تَعُد البحرين والكويت وشرقية العربية السعودية، فضلا عن العراق، يَنعَمُ بالانسجام المجتمعي الذي كان واقعا ملموسا قبيل الثورة الخمينية نهاية سبعينيات القرن الماضي، وأخذت المجاميع الشيعية تفصِل نفسها عن المجتمع السُّنِّي بمؤسسات مُجتمعٍ مَدنيٍّ خاصة بها، في عملية «إحلال» رابطة الطائفة مَحَلَّ رابطة الوطن، و«إبدال» رابطة المَذهَب مكان رابطة الأُمَّة أو القبيلة.

جاءت عملية «الإحلال والإبدال» في وقت تواجه الوحدة المجتمعية الخليجية خللا ديموغرافيا أفرزته حقبة النفط، فالخليج يواجه انفجارا في السكان الوافدين من غير العرب؛ إذ الأصل أن التكوين السكاني لمنطقة الخليج العربي معظمه من المهاجرين من المناطق المجاورة عبر فترات زمنية متفاوتة وطويلة نسبيا، أحدث اندماجا سكانيا فرضته ظروف الحياة التي عاشتها شعوب المنطقة، وقد كان عدد السكان قبل النفط مناسبا في حدود الموارد المتاحة حينها، والمعتمدة على بيئتي البحر والصحراء.

أما في العصر النفطي فالأمر اختلف بعد أن شهدت المنطقة نهضة شمولية؛ إذ قفز حجم السكان إلى أرقام مرعبة، بسبب فائض العمالة الرخيصة مؤهلة كانت أو غير مؤهلة، حتى زاد عدد الوافدين على المواطنين، وأصبحت المشكلة

السكانية تؤرق صناع القرار السياسي والاجتماعي في المنطقة، ولم تنس إيران هذه المشكلة التي كان لها ضلع في توجيهها واستثمار الأقليات الإيرانية الشيعية - أو الزُّرُدَشتية المستترة بالتشيع- التي استوطنت الخليج لأغراض تجارية ومعيشية صرفة، فعمدت إلى تحويلها إلى جماعات يتم توظيفها لصالح مشاريع شعوبية إبَّان البهلوية الشاهنشاهية أو مذهبية مرحلة تصدير الثورة الخمينية، إلى جانب الموالين الشيعة من عرب الخليج، الذين تعتبرهم إيران من الطبقة الثانية في التصنيف العِرقي والطبقي.

أما على المستوى الثقافي فقد تأثر بعوامل داخلية وخارجية مباشرة وغير مباشرة، ففي مجتمع الخليج العربي حدثت تطورات مهمة طيلة القرن العشرين والحادي والعشرين، كان لها تأثيرها الثنائي في هذا المجتمع، ففي بداية النهضة في المنطقة التي صاحبت دخول التعليم الحديث، ومع تصدير النفط كان المتعلمون يمثلون النخبة المثقفة في المجتمع، وكانت طموحاتهم في تطوير مجتمعهم كبيرة، ربما فاقت إمكاناتهم، وتفوق حتى إمكان تحقيق حدها الأدنى، وهي بحكم طبيعة المرحلة وفكرها وظروفها كانت تطمح للنهوض والتطور لاختصار الزمن، وتعويض فترات التأخر.

والتقويم الموضوعي لمستوى الثقافة ودورها في نهضة مجتمع الخليج العربي يفرض علينا أن نقف على إيجابيات وسلبيات هذه القضية وهي مهمة وأساسية في نهضة الشعوب، وكانت النافذة الإيرانية المطلة على المشهد الثقافي تعمد إلى ترسيخ مفهوم آخر خارج عن أسوار المواطنة أو الهوية العربية، بفرض أيديولوجيا التشيع بنسختها الصفوية، وإحلال ثقافة التمايز والمُغايرة الشاملة لأتباع الولي الفقيه عن غيرهم، واصطناع نماذج ثقافية لم تكن معروفة قبل الثورة الخمينية بين شرائح المثقفين العرب.

ولابد من الاعتراف بأن التحرك الثقافي الإيراني قد ملأ فراغا مُميتا أحدثه تحوُّل المجتمع الخليجي السريع إلى مجتمع استهلاكي مُترهّل، وتوافر ثروة وكماليات شغلت الجيل الناشئ عن التأصيل الثقافي، وجعلت اهتمامه يتركز على مادية الحياة واللذة العاجلة، مع تسطيح ثقافي وضعف معرفي أسهمت فيه الحكومات الخليجية نفسها، ومن ثم تهميش لدور الثقافة في تنمية الفرد، ماعدا قِلَّة من المثقفين الذين استطاعوا أن يحفروا طريقهم - وفي الأغلب بجهودهم الذاتية- ليكونوا مثقفين حقيقيين، يبذلون جهودا غير عادية في التنوير وسط واقع لا يَعِي أهمية الثقافة وخطورتها في بناء المجتمعات وتطورها.

لقد نجحت إيران فعلا في خلق ثقافة موازية جديدة بالتبنّي من الشباب المنتمي إلى التَّشيُّع الولاياتي (=من الولاية)؛ لأنها جعلت من الثقافة تِرسًا أصيلا في عملية النهضة الشيعية الشاملة، تحت مظلة الولي الفقيه وقيادته، فكانت الثقافة طريق إعادة صياغة الشباب الخليجي الشيعي، وكانت صناعة «الهوية الشيعية» هي القضية التي يحيا عليها الشباب ويموت، فسقطت بهذا «الهوية القومية» ومعها «الهوية الوطنية» التي كابدت حكومات الخليج لزرعها في النشء منذ استقلالها مطلع السبعينيات.

دفع قهري لا اختياري

عند فحص حركات التعاون والتنسيق الخليجي يُكتشف أن المحرك الفعلي لمختلف مستوياته (تنسيقي، تعاوني، تكاملي، اتحادي) يَصدر عن تهديد أمني وجودي مُوجَّه ضد الأنظمة الحاكمة وليس تنمويا متمركزا على المواطن الخليجي، وهذه حقيقة لابد من جعلها نُصب العين لتصحيح القراءات الوصفية أو التحليلية المنتقدة لمسيرة التعاون الخليجي، وهي الخلاصة التي يخرج بها كل متابع لمسطرة تاريخ قيام دول مجلس التعاون الخليجي.

ففي ٢٦ مايو ١٩٨١ أعلن د. عبدالله بشارة للمجتمع الدولي من أبوظبي عن ولادة منظومة تعاونية جديدة في منطقة الشرق الأوسط عُرفت

باسم (دول مجلس التعاون الخليجي)، والهدف المعلن لهذا المشروع هو «تطوير التعاون بين هذه الدول، وتنمية علاقاتها، وتحقيق التنسيق والتكامل والترابط، وتعميق وتوثيق الروابط والصلات القائمة بين شعوبها في مختلف المجالات، وإنشاء المشاريع المشتركة، ووضع أنظمة متماثلة في جميع الميادين الاقتصادية والثقافية والإعلامية والاجتماعية والتشريعية، بما يخدم مصالحها ويُقوي قدرتها على التمسك بعقيدتها وقيمها»، ولم يكن خافيا في البيان التاريخي آنذاك الهاجس الأمني جراء الوضع الإقليمي المتفجر بحُزَم من المفاجآت على ضفتي الجزيرة العربية.

فعلى ضفاف البحر الأحمر غربا تفجرت الخلافات مع جمهورية مصر العربية - زعيمة الأيديولوجية القومية- إثر اتفاقية كامب ديفيد للسلام بين مصر وإسرائيل (١٧ سبتمبر ١٩٧٨) وما أفرزته الاتفاقية من تصدُّع الجبهة العربية بتعليق عضوية مصر من الجامعة العربية لعشر سنوات (١٩٧٩- ١٩٨٩)، ومن ثم اغتيال الرئيس المصري أنور السادات بعد فترة وجيزة من إعلان مجلس التعاون الخليجي، وعلى ضفاف بحر الخليج شرقا في الفترة نفسها تهاوت المملكة الإيرانية بثورة شعبية أدت إلى الإطاحة بالشاه محمد رضا بهلوي وإعلان قيام دولة ثيوقراطية بزعامة مُلاّ يميني هو روح الله الخُمَيني (٢٤ أكتوبر ١٩٧٩)[1]، ومن ثم اشتعال الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت ثماني سنوات (سبتمبر ١٩٨٠- أغسطس ١٩٨٨).

فالعامل الأمني الإقليمي والمحلي هو المحرك الفعلي للعقلية الجماعية الحاكمة لتلك الدول الست، والتي تحولت اليوم إلى منظومة شبه أمنية، وغاب عنها - إلى حد كبير- أي شكل آخر من أشكال الاستقرار السياسي على الرغم من الحاجة الدولية المتزايدة لاستمرار واستقرار تدفق نفط الخليج (أداة استقرار الدولار الأمريكي وهيمنته السوقية) ودعمه المالي الذي يفوق الخمسة تريليونات دولار عن طريق صناديقه السيادية في دول المركز (أمريكا وغرب أوروبا/ بريطانيا وفرنسا وألمانيا) إلى جانب صفقات الأسلحة الضخمة التي تبقي مصانع الأسلحة الغربية عاملة ومتفوقة.

الواقع أن منظومة دول مجلس التعاون الخليجي محكومة بوعاء زماني ممتد لأكثر من ثلاثة عقود، في ظروف إقليمية معقدة ومرتبكة، هيمنت عليها سياسة التطويق والتصدُّع من الشرق والغرب، حيث اندلعت الحرب العراقية الإيرانية شرقا، والاجتياح الإسرائيلي للبنان بعد تحييد مصر غربا، وقد استمرت الحرب العراقية الإيرانية ثماني سنوات، تبعتها مباشرة صدمة اجتياح النظام العراقي لدولة الكويت (٢ أغسطس ١٩٩٠) والتدخل العسكري الأمريكي المباشر في الخليج لأول مرة في التاريخ في عملية عاصفة الصحراء (١٦ يناير ١٩٩١)، وكان إفرازا عمليا لنتائج تصدع وانهيار جدار برلين الذي أنهى عمليا مرحلة الحرب الباردة بين قطبي القوى العالمية (أمريكا - السوفييت) ونقل العالم إلى مرحلة القرن الأمريكي الجديد المعروف دوليا بالنظام العالمي الجديد (New World Order) وتغيُّر موازين القوى لصالح أمريكا ودخول منطقة الخليج الغنية بالطاقة الحيوية للعالم تحت الوصاية الأمريكية الشاملة تحت ما يُعرف بدبلوماسية البوارج (Gunboat diplomacy).

وقد استمرت السيادة العسكرية الأمريكية على الخليج في ابتزاز القرار السيادي واستنزاف ميزانياته عبر حزمة عقود التسليح العسكرية طويلة الأجل، إلى جانب الضغط باتجاه الاندغام الاقتصادي التام عبر اتفاقية التجارة الحرة التي أعادت إنتاج المنظومة القانونية الخليجية لتتماشى والقوانين الأمريكية، فاختلت الرغبة الخليجية للتكامل الاقتصادي فيما بينها لتغير الأولويات بين

---

(١) يؤرخ له الايرانيون بثلاثة تواريخ: الهجرى الشمسى ١٢ فروردين ١٣٥٨، والهجري القمري ٣ من ذي الحجة ١٣٩٩، إضافة للميلادي المشار إليه.

أحاد الدول الخليجية، وانسحب هذا على المنظومة الأمنية والقضائية والتعليمية والإعلامية، وما أن انتصف عقد التسعينيات حتى انفجر الفضاء الإعلامي بتقنيات البث الفضائي الحي وولادة العالم الافتراضي عبر الشبكة العالمية العنكبوتية، وتحول وسائل الاتصال والإعلام الخليجية إلى الفناء الخلفي للإعلام والاتصال الأمريكي.

وما إن انتهت الألفية حتى صدمت المنطقة – كباقي العالم- بحادثة برجي التجارة العالمية (١١ سبتمبر ٢٠٠١)، وأصبح الخليج العربي - والمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص- مسرحا متفردا لمحاربة ما عُرف في الإعلام السياسي والعلاقات والقانون الدولي بـ«الإرهاب»، الذي تحول فيما بعد إلى إسلاموفوبيا (=رُهاب الإسلام) فافتُتِحَت الألفية بالهجوم على أفغانستان طالبان بذريعة ضرب القاعدة (٧ أكتوبر ٢٠٠١)، تبعه الإجهاز على النظام العراقي بقيادة صدام حسين (٢٠ مارس ٢٠٠٣)، وكان للخليج العربي إضافة إلى إيران دورٌ مساندٌ ومُدارٍ للأمريكان في عملياتهم العسكرية على بلد إسلامي وآخر عربي من أعضاء الجامعة العربية، وهي الحادثة الأولى التي تبعتها تَصَدُّعَات وانهيارات في بنية وفلسفة وجود الجامعة العربية ودورها القومي.

وما إن تحطَّم السُّورُ العراقي بقيادة صدام حسين حتى افتُتِحَ فصلٌ جديدٌ من المخاوف الأمنية الحقيقية على حاضر ومستقبل منظومة دول مجلس التعاون، لكن هذه المَرَّة لم تكن إسرائيل هي نقطة الارتكاز فقد تراجعت إلى الدرجة الثانية بعد الجمهورية الإسلامية الإيرانية بقيادة اليمين الإيراني المتطرف الذي يُمثله التيار المحافظ المقرب من المرشد الأعلى (الإمام) علي خامنئي.

ومع اشتعال الشرارات الأولى لما يُعرف بالربيع العربي/ الثورات العربية التي انطلقت نهاية العقد الأول من الألفية الجديدة، جاءت كلمة وزير الخارجية الكويتي السابق د. محمد بن سالم الصباح أمام ورشة الإعداد لمنتدى وحدة الخليج الجزيرة العربية (٢٤ يناير ٢٠١١) في العاصمة الكويتية، كإعلان موقف وتعبير واضح عن قناعة صُنَّاع القرار في المنظومة الخليجية حول المتغيرات الهيكلية والعملية لمفاعيل وآليات التأثير على واقع ومستقبل منظومة الخليج العربي، حيث صرَّح دونما تحفظ بأن قيادات الخليج تَعتَرف أن عالم اليوم يواجه تحديات كبرى غيرت طريقة صناعة القرار الدولي، وعبَّرَ عن ذلك بتأكيده أن حكام الخليج يعلمون المتغيرات الكونية الأهم، وهي ثلاثة كبرى تؤثر على واقع ومستقبل الخليج العربي وعلاقاته الجيوسياسية، ولم تكن موجودة وقت ولادة المنظومة الخليجية قبل ثلاثة عقود خلت:

أولها: تَغَيُّر محورية القوى الدولية من أحادية القطبية (يعني التفرد الأمريكي بالقرار) إلى تعددية المراكز.

وثانيها: تغيُّر مفهوم الأمن القومي والخطر الوجودي.

وثالثها: التغير الديموغرافي والخطر على الهوية والانتماء.

لقد هيمنت السياسة الإيرانية المتحفزة للعب دور إقليمي بارز في منطقة الشرق الأوسط على أجندة التحركات الخليجية منذ تأسيس المنظومة التعاونية عام ١٩٨١، فبقراءة سريعة لـ ٣٢ بيان قمة خليجية، وعدة مئات من بيانات الدبلوماسية والأمن الخليجية على موقع الأمانة العامة لدول مجلس التعاون، سيلاحظ أن إيران كانت عاملا مُقلقا، بل مستفزا للسلطات الحاكمة في الجزيرة العربية، وتحولت العلاقات إلى «حرب باردة» وتَخَنـدُقٍ فِعلي تعَزز رسميا وشعبيا بالخطاب الطائفي المتكرر من جميع الأجهزة الإيرانية الدينية والسياسية وأذرعتها الإعلامية، برصيد مشاهد القتل على الهوية في عراق ما بعد صدام حسين على يد ميليشيات محسوبة على إيران انتسابا مذهبيا وتمويلا لوجستيا وغطاء سياسيا يتعدى الجغرافيا العراقية إلى الجارة إيران.

وقد انكشفت المنظومة الخليجية أمام إيران مرارا وتكرارا بسبب اختلاف وجهات النظر والتطبيقات السياسية بين قيادات دول المجلس لطبيعة العلاقة مع إيران بين ممانع (السعودية والإمارات والبحرين) ومُساير (قطر والكويت وعُمان)، فكانت قطر بدبلوماسيتها المثيرة للجدل تتصدر تيار المسايرة عَلَنا بتبنيها الإعلامي عبر قناة الجزيرة لقضايا اعتُبرت «دوائر رمادية» لا يجوز اقترابها دون اتفاق إطاري خليجي، كقضايا دعم حزب الله إعلاميا وتطوير علاقات التعاون مع إيران استخباراتيا إلى جانب تطوير أدوات التقارب والتفاهم مع الخليج والعالم العربي (كاحتضان جامعة قطر لمؤتمر مركز دراسات الوحدة العربية عام ١٩٩٥ للتقارب مع إيران) [١]، ودعوة الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد إلى قمة مجلس التعاون في الدوحة في ديسمبر ٢٠٠٧، والذي أظهرت دعوته وجود اختلافات في وجهات النظر في التعامل مع إيران، فيما يوصف بأنه «إستراتيجية التوتر الإيجابي»؛ كما أن إيران كشف بدورها عن نفسها مرارا وتكرارا بإضاعتها فرصا ثمينة لإعادة تأسيس علاقات عربية إيرانية وفق منطلقات جديدة، على اعتبار أن منظومة الخليج البوابة العربية الأمثل لاندغام إيران وتطبيع علاقاتها المتوترة مع العالم العربي.

هذه الخلافات الخليجية الخليجية، وبروز حالة من التململ بين شعوب الخليج، وتفاقم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية إلى درجة متشابكة خطرة، جعل البعض يعتقد أن منظومة الخليج التعاونية أصبحت في حكم الماضي بالنظر إلى أنها تعاني شيخوخة في حكامها وأمراضا هيكلية مزمنة في آحاد المنظومة، ومتلازمة الأعراض السلبية للنفط والاستهلاكية، لكن هؤلاء يغفلون عن غريزة البقاء والحساسية المفرطة لَمشيَخات الخليج التي يزيد عمر بعضها على مائتين وخمسين عاما في الحكم، فأحدثها سِنًّا هم آل ثاني[٢]، فهي تملك قابلية للصراع من أجل البقاء أكثر من غيرها الشعوبية المُؤَدلَجة (=إيران) أو الاستعلائية الطفيلية (=إسرائيل)، ولعلها المحركَ الحقيقي لدعوة العاهل السعودي الملك عبدالله بن عبدالعزيز في القمة الخليجية الثانية والثلاثين (١٩ ديسمبر ٢٠١١) إلى الانتقال بالمنظومة التعاونية الخليجية من مرحلة التعاون إلى مرحلة الاتحاد، وهو الحدث الأبرز منذ الربيع العربي نهاية ٢٠١٠.

يأتي هذا الإعلان بعد ثلاثة عقود من قيام مجلس التعاون الخليجي، الذي لم تنجح قياداته وأجهزته التنفيذية في تحقيق الأهداف الأساسية التي صيغت حين قيام المجلس، إذ تنص المادة الرابعة من النظام الأساسي لدول المجلس أنه شُكِّل «لتحقيق التنسيق والتكامل والترابط بين الدول الأعضاء في جميع الميادين وصولا إلى وحدتها، وتعميق وتوثيق الروابط والصلات وأوجه التعاون القائمة بين شعوبها في مختلف المجالات، مع وضع أنظمة متماثلة في مختلف الميادين بما في ذلك الشؤون الاقتصادية والمالية، والشؤون التجارية والجمارك والمواصلات، والشؤون التعليمية

---

(١) عقد مركز دراسات الوحدة العربية الندوة في الجامعة القطرية تحت عنوان: العلاقات العربية- الإيرانية: الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل، قُدِّمَت فيها ٢٧ ورقة مناصفة بين باحثين إيرانيين وعرب، شملت مختلف القضايا العالقة عُرضت في ١٣ محورا توزعت على قسمين هما: الإرث التاريخى للعلاقات الثنائية، والأوضاع الراهنة وآفاق المستقبل، كما علَّق على أطروحات الورقات ٣١ معلقا إيرانيا وعربيا، وصدرت وثيقة ضخمة عن مركز دراسات الوحدة العربية في ١٠٠٦ صفحات، وطبعت مرتين: الأولى في يوليو ١٩٩٦، والثانية: أغسطس ٢٠٠١.. والحقيقة أن هذا المؤتمر يعد الأول من نوعه والأخير في سلسلة المحاولات الأهلية للتقارب والتحاور، ولا أعتبر مشروع التقارب المذهبى الذى قاده الشيخ القرضاوى مناصفة مع الشيخ التسخيرى محاولة مثمرة أو ناجحة بحكم أن نتائجها كانت محدودة في الفترة الخاتمية، ومن ثم انكشاف الأهداف الإيرانية من وراء مشروع التقارب المذهبى التى انتهت بإعلان الشيخ القرضاوى نفسه أن الجانب الإيرانى لم يكن جادا في عملية التقارب، وهو ما جعل القرضاوى محط تندر وهجوم شخصى من قبل الشيخ التسخيري نفسه ومن لف لفه من الإيرانيين والمتأيرنين.

(٢) تواريخ ظهور مشيخات الخليج على المسرح السياسى، دون الخوض في التفاصيل: لأبوظبى آل نهيان ١٧٢٩م، للدرعية آل سعود ١٧٤٤م، للكويت آل صباح ١٧٥٢م، للبحرين آل خليفة ١٧٦٥م، لعُمان آل بوسعيد ١٧٨٢م، لقطر آل ثاني ١٨٤٨م.

والثقافية، والشؤون الاجتماعية والصحية، والشؤون الإعلامية والسياحية، والشؤون التشريعية والإدارية، مع دفع عجلة التقدم العلمي والتقني في مجالات الصناعة والتعدين والزراعة والثروات المائية والحيوانية، وإنشاء مراكز بحوث علمية، وإقامة مشاريع مشتركة، وتشجيع تعاون القطاع الخاص بما يعود بالخير على شعوبها».

فعلى الرغم من وضوح الأهداف وتوافر القرار السياسي على أعلى المستويات لكن الإخفاقات المتلاحقة في البنية الإدارية الخليجية، وسيرورة اتخاذ القرار كانت الخلطة الجيدة لإفساد طموح المشيخات وتكسر آمال الشعوب على واقع عدم الكفاءة الإدارية وتفشي الفساد المالي والإداري بين الإدارة الوسطى، وتحالف إقليمي بين طبقتي التنفيذيين الإداريين والتجار، مما انعكس على أداء الأمانة العامة لدول المجلس التي تحولت تلقائيا إلى سكرتارية تنفيذية ومراسل برتبة وظيفية عالية، بلا تفويض تنفيذي قادر على إحداث إضافة نوعية لا للقرار السيادي الأعلى لقيادات المجلس ولا لتمرير القرارات في صيغة آليات عمل تنفذ بشكل سيروري سلس منذ اليوم الأول لاعتماد قيادات الخليج للتوصيات السيادية العليا في القمم الخليجية.

هذا في البيت الخليجي من الناحية السياسية والإدارية للمجلس، في وقت تغير فيه إيقاع العالم اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، وطرأت متغيرات أعادت صياغة العقلية الخليجية التي ترعرعت على الاستهلاكية والاعتماد شبه الكلي على صيغة دولة الرَّفَاهية (welfare state)، التي أحالت المجتمع الخليجي إلى شعوب استهلاكية اتكاليةٍ مُتَرهِّلةٍ، تعيش على هامش الفعل السياسي، تاركة القرار والتصرف برُمَّتهِ للمشيخات لتُقرِّرَ عنها وتتصرف في كل ما يتصل بحاضرها ومستقبلها، إلا أن الأحداث المتلاحقة على العالم العربي والإسلامي، وخاصة صدمَتي الحرب الأمريكية على الإرهاب ومشاركة حكومات الخليج فيها محليا ودوليا، وسقوط صدام حسين وما تبعه من تغوُّل إيراني ظهر في شكل مذابحَ جماعية وتهجير قسري وقتل على الهوية في العراق، واستعداء متحفز للمجتمع السني على طول الشريط النفطي (=الكويت، المنطقة الشرقية للسعودية، البحرين) وفي غرب الجزيرة العربية (=المدينة المنورة)، وجنوبها (=الحوثيين في اليمن)، بمقابل ما يعتبره الخليجيون ركودا أمنيا مستفزا، وازدواجية معايير حين تكون المعالجة الأمنية مختلفة بين تعامل أجهزة الأمن مع التيارات الإسلامية السُّنية ومثيلاتها الشيعية، حيث اتضح أن الضغط الأمريكي عبر أجهزة الاستخبارات (CIA) والدبلوماسية الأمريكية (السفارات/ الخارجية) تتدخل بشكل سافر في القرار السيادي والأمني لتشديد العقوبة والإجراءات الاحترازية ضد من يوصفون بالمتشددين الإسلاميين، في الوقت الذي تتغير شدة القبضة الأمريكية فيما يتعلق بمتشددين شيعة.

وتحولت هذه الازدواجية إلى مِعوَل تَصَدُّعٍ غير مسبوقٍ بين مشيخات الخليج وشعوبها (تُستثنى إلى حدٍ ما السياسة القطرية والكويتية لأسباب العقليات الحاكمة) على مستوى الثقة باستقلالية القرار السيادي للخليج بعيدا عن الإرادة الأمريكية وتدخلاتها المكشوفة؛ لقد تَغيَّر الوِعَاء الزمني وتماشت الشعوب مع هذا التغيير وتبدلت قناعاتها، لكن آليات الفعل والعمل في حكومات المشيخات لم تُحدث تغييرا يُذكر لترميم تصدعات الثقة في استقلالية المشيخات التي بدأت تتسع يوما بعد يوم منذ دخول القواعد الأمريكية بحر الخليج، وتطبيق دبلوماسية البوارج بالتراضي بين الأمريكان والمشيخات الحاكمة مطلع تسعينيات القرن الماضي.

من جهة يُحسب هذا التراضي للرغبة الأمريكية في الحد من طموحات أو أطماع إيران فيما يَخُص الأقطار العربية الحليفة لأمريكا، أو هكذا يَرغب طرفٌ الاقتناع، إلا أن أطرافا أخرى تربط بين ما يجري على الساحة بهذا الخصوص وبين مخططات طويلة الأمد تُعِدُّها واشنطن لإبقاء البلبلة الموجَّهة في المنطقة والتحضير لنزاع مسلح تقع في بؤرته حتما

إيران وجيرانها العرب، بحسب مقتضيات الفلسفة العسكرية الأمريكية بإدارة الصراعات منخفضة الحدة (Low intensity conflict)[1].

لقد عبر وزير الدبلوماسية السعودية سعود الفيصل عن الحاجة المُلحة والظرف القاهر الذي يحتم على دول الخليج أن تتكتل في صيغة اتحادية، تقفز فوق مرحلة التكامل في مصفوفة النظام الأساسي (التعاون- التكامل- الاتحاد)، وأن «جلّ اهتمام القادة وصناع القرار والمفكرين هو البحث في كيفية مواجهة التحديات الراهنة والمستجدات على الصُعُد السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتأثيراتها على دولنا وشعوبنا..»، وواضح أن إيران في المشهد مرة أخرى فـ «تصعيد المواجهة بين إيران والمجتمع الدولي حول برنامجها النووي، واستفزازها المستمر لدول مجلس التعاون على نحو خاص، واستمرار معاناة الشعب الفلسطيني، إضافة إلى تداعيات ما تمر فيه العديد من دول المنطقة من تغييرات سياسية واسعة في إطار ما أصبح يعرف بالربيع العربي، كل هذه المستجدات تستدعي منا وقفة للتأمل وإرادة صلبة للتعامل معها حفاظا على مصلحة دول مجلس التعاون الخليجي، ووحدة أراضيها وسلامتها الإقليمية، والسلم المدني واستقرارها ونموها..».

وربما من الملفت في كلمته استخدام تعبير «وحدة أراضيه» التي لم يسبق لمسؤول خليجي رفيع المستوى تطرق إليها من قبل، لكن بالعودة إلى تصريح وزير الخارجية الكويتي السالفة نفهم التعبير في سياقه الذي يُهيمن على العقلية الجمعية للأنظمة الخليجية، وقناعتهم أن اختلاف الوعاء الزمني أدى إلى اختلاف نوعية التهديدات التي وصلت إلى التهديد الوجودي لمنظومة التعاون الخليجي.

عسكرة الطائفة: منهج أم استثناء؟

بوزيدي يحيى(❖)– خاص بالراصد

تشكلت خلال ثمانينيات القرن الماضي العديد من أحزاب الله الشيعية، متأثرة بالثورة الإيرانية التي قامت سنة ١٩٧٩، وأهم ما ميزها هو انتهاج خيار العنف والسلاح لتحقيق هدفها المتمثل في إسقاط الأنظمة في أوطانها وتأسيس أنظمة أخرى تابعة للولي الفقيه الإيراني. وقد عرفت هذه التنظيمات مسارات مختلفة فبينما اندمجت بعض قيادات حزب الله البحريني في العملية السياسية، أعلن حزب الله - الحجاز نَبذه لخيار العنف وتبني نهج المطالبة السياسية، واستمر فقط حزب الله اللبناني الذي كان يرفع شعار المقاومة. كما برز الحوثيون في اليمن والذين إن اختلفوا في الأسماء فإنهم لم يختلفوا في المحصلة الأخيرة في أهدافهم عن تنظيمات حزب الله الأخرى، فضلا عن العلاقة الوطيدة مع المرشد الأعلى الإيراني وما تبعها من تنسيق مع/ بين فروعه كلها من خلال الحرس الثوري الإيراني.

وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق سنة ٢٠٠٣، برزت تشكيلات شيعية جديدة، حيث تحولت من المعارضة المسلحة لنظام صدام حسين إلى التربع على السلطة بدعم من الولايات المتحدة، وإضافة إلى حزب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية اللذين شكلا مليشيات تابعة لهما على غرار «منظمة بدر»، فقد برز على الساحة أيضا التيار الصدري الذي أسس بدوره «جيش المهدي» كمليشيا قامت بأكبر عملية قتل طائفي في العراق بين سنتي ٢٠٠٦ و٢٠٠٧.

(١) بحسب موقع GlobalSecurity.org يعرف دليل العمليات العسكرية الأمريكية (Field Manual 100-20: Military Operations) الصراع منخفض الحدة بأنه مواجهة سياسية وعسكرية بين دول متنازعة أو مجموعات تتحارب حربا تقليدية أو غير تقليدية (حرب باردة)، وتنطوي في كثير من الأحيان على صراعات طويلة بين المبادئ والأيديولوجيات المتنافسة، وتتراوح أدوات الصراع منخفض الحدة من التخريب إلى استخدام القوات المسلحة، والتدخل بمجموعة من الوسائل، وتوظيف الأدوات السياسية والاقتصادية والإعلامية والعسكرية، لتأمين الآثار الأمنية الإقليمية والعالمية. ننصح بمراجعة مقال على مجلة الدفاع الأمريكية تحت عنوان Blood Boarders- 2006

(❖) كاتب جزائري.

وبعد الثورة السورية ظهرت إلى جانب الانخراط المباشر والعلني لحزب الله في الحرب ضد الشعب السوري تشكيلات عسكرية شيعية جديدة من أبرزها لواء «أبو الفضل العباس»، وهو تنظيم عراقي تابع لعصائب أهل الحق المنشقة عن التيار الصدري يقاتل إلى جانب النظام السوري، وقد اتخذ من حماية مقام السيدة زينب في دمشق مبررا لأعماله. تزامنا مع هذا وببداية الحركة الاحتجاجية العراقية لم تكتفِ حكومة المالكي بالأجهزة الأمنية والجيش التي أصبحت وظائفها ميليشيوية بعد جرها في مواجهة مع المواطنين، بل أسست أيضا ميليشيا طائفية جديدة هي «جيش المختار» لدعم حكومة المالكي في قمع المظاهرات[1].

هذا التوالد للمليشيات العسكرية والسلوك العنيف والواسع للقوى الشيعية، والذي كان كبيرا في مرحلة الثمانينيات، ليتراجع نسبيا في مرحلة التسعينيات، ثم يعود بقوة كبيرة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، ليبلغ أوجه مع الثورة السورية يدفع لطرح الإشكالية التالية:

هل السلوك الطائفي العنفي من طرف القوى الشيعية استثنائي نتيجة للتهميش الذي مورس ضدهم من جهة والاستغلال الخارجي لتلك التناقضات، فضلا على كونه محدودا من طرف جزء من المكون الشيعي وليس حالة عامة، أم أنه سلوك متأصل في الحالة الشيعة؟

التجارب الشيعية السابقة

بالعودة إلى تاريخ التجارب الشيعية السابقة والتي استطاع فيها الشيعة تأسيس كيانات سياسية فإن أهم المحطات التاريخية للدول الشيعية هي الدولة الفاطمية والدولة البويهية والدولة الصفوية.

(١) أسامة شحادة، جيش المختار عنوان طائفي جديد في العراق، جريدة المصريون، ٢٠١٣/٠٣/١٧، على الرابط:
http://almesryoon.com/permalink/109316.html

بالنسبة للدولة الفاطمية والتي وجد مؤسسها أبو عبد الله الشيعي في سماحة المغرب الإسلامي فرصة لنشر معتقداته وتأسيس دولته، فقد بدأت مسارها بالدعوة للتشيع، حتى أصبح لها عدد كبير من الأنصار ليؤسس أبو عبد الله الشيعي جيشا خاض به حربا ضد الدولة الأغلبية، وبعد أن استتبت لهم الأمور وبسطوا نفوذهم على جزء كبير من المغرب الإسلامي بقيادة عبيد الله الشيعي، اتجه العبيديون نحو مصر حيث سيطروا عليها ونقلوا مقر الحكم إلى هناك والذي دام حوالي قرنين ونصف.

بدورها بدأت الدولة البويهية من بلاد فارس وتجدر بنا الإشارة في الأول إلى انتمائها للدائرة الإسلامية على غرار المغرب الإسلامي بالنسبة للدولة الفاطمية، وتوسع ملوكها شيئا فشيئا مع ازدياد قوتهم، وبعد سيطرتهم عليها فكما اتّجه العبيديون نحو مصر اتجه البويهيون صوب عاصمة الخلافة العباسية بغداد التي كانت تعاني من ضعف ووهن شديدين في تلك المرحلة مما جعل البويهيين الحكام الفعليين، وبقي دور الخليفة شكليا فقط، وبلغة سياسية معاصرة فإن التمكين السياسي أو الحقوق السياسية للبويهيين التي منحها لهم الخليفة العباسي أو فرضوها عليه بدل أن تجعلهم يساهمون في تجاوز الخلافات وما نتج عنها من فتن، على العكس فإن كل ما فعلوه هو تعميقها من خلال سياساتهم الشيعية، إذ كان نشر التشيع أحد أهم أعمالهم في بغداد التي كانت حينها سنية[2].

أما الدولة الصفوية والتي جاءت نشأتها بتحول مؤسسها من طريقة صوفية إلى التشيع الإثني عشري وفرضه قسرا على الإيرانيين[3]، هي الأخرى

(٢) راغب السرجاني، الدولة البويهية، موقع قصة الإسلام. ٢٠٠٨/٠٧/١٥، على الرابط:
http://islamstory.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%88%D9%8A%D9%87%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%B9%D9%8A%D8%A9

(٣) علي الوردي، الدولة الصفوية والتشيع: مجموعة من الباحثين، الصفوية: التاريخ والصراع والرواسب، مركز المسبار للدراسات =

في سلوكها الإستراتيجي لم تختلف عن الدولتين الفاطمية والبويهية، فخلال تاريخها الممتد بين سنتي (١٥٠٧ - ١٧٣٥م) كان توسعها نحو الغرب لمد نفوذها والسيطرة على العراق حيث احتلت بغداد أكثر من مرة والعامل الوحيد الذي حال دون تقدمها أكثر في العمق الإسلامي هو وجود الخلافة العثمانية التي خاضت معها العديد من الحروب حتى سقوطها.

هذه النماذج التاريخية تكشف الدور الهدام للمشاريع الشيعية في الأمة وكيف أنها انطلقت من أهداف تتحصر في السيطرة على السلطة في أقاليم إسلامية إلى التوسع والنفوذ دائما باتجاه مركز الأمة، مستندة في ذلك على نشر التشيع الذي كان مرتكزا وهدفا في نفس الوقت، وأن العدو الخارجي لم يكن ضمن أولوياتها، كما أنها كانت تسعى بشكل مستمر لنشر التشيع، وحيثما تمكنت من الحكم أكثر تكون المشاكل والقلاقل أكبر، كما أن آثار البدع والمحدثات في الدين التي رعوها لا زالت بادية حتى الآن، إذ أن بدعة «عاشوراء» ظهرت في زمن البويهيين، والمجتمعات التي حكمها الشيعة أصبحت مهيأة لكل صنوف البدع، وكلما طالت فترة الحكم كان حجم أضرارها أيضا أكبر، ولعل أبرز الأمثلة هو الأرضية التي يجدها التشيع في مصر والتي تلعب الحقبة الفاطمية - وما سادها هي الأخرى من بدع - دورا في القابلية للتشيع هناك.

الخمينية: النسخة الطائفية المعاصرة

تمثل جمهورية الولي الفقيه الخمينية النسخةَ الثانية من المشروع الصفوي، وهي الأخرى لم تخرج محاولات مد نفوذها عن الدائرة الإسلامية والاتجاه نحو المركز، وكما سبق الإشارة في مقدمة البحث استطاعت في سبيل ذلك تجنيد القوى الشيعية في العالم العربي لتحقيق أهدافها في السيطرة ومدّ النفوذ، فالقوى الشيعية العربية المعاصرة، بمختلف تشكيلاتها، تلتقي جلها في ولائها للولي الفقيه، فكل الطرق تؤدي إلى طهران. وإن كانت استعانة قوى «التمرد» في الدول الإسلامية بقوى معينة في إيران ليست أمرا جديدا، مما يعني أن تمركز بعض الحركات السياسية العربية المعاصرة في إيران أو التحالف معها ليس أمرا مبتدعا في تاريخ المنطقة[1]، فإن الاختلاف في هذه المرحلة أن إيران لا تعين قوى التمرد وإنما توظفها لتحقيق مصالحها، لدرجة أنه بلغ حد إخضاع عاصمتين هامتين في تاريخ الأمة «دمشق» و«بغداد» لها، وأصبحت ثلاث دول عربية: سوريا والعراق ولبنان محافظات إيرانية عمليا، ولم تتوقف أطماع إيران عند هذا الحد إذ سعت إلى الاستفادة من التحولات الجارية بإحكام السيطرة على البحرين التي كانت في مقدمة أهدافها نظرا لصغر حجمها ووجود نسبة من الشيعة فيها هي الأكبر بالنسبة لعدد السكان مقارنة بالدول الأخرى، فحيثما تكون هناك أقلية شيعية فإن أصابع إيران لا تتوانى في العبث بالمجتمعات والدفع بأتباعها ومؤيديها لقلب الأنظمة بمختلف الوسائل أو على الأقل الحصول على مكاسب سياسية توظفها في سياقات مختلفة.

الاندماج الأفقي: المجتمعي والسياسي في الحالة الشيعية

أهم زاوية مثيرة للجدل وتحدث التباسا عند بحث موضوع الطائفية الشيعية في المنطقة، هو ذلك التعايش المجتمعي الممتد عبر قرون طويلة، وهنا فإن هذا إضافة إلى أنه إن دل على شيء فإنما يدل على سماحة الأمة (أهل السنة والجماعة)، وكيف استطاعت احتواء هذه الأقليات، إلا أن هذه الزاوية المجتمعية – المجتمعية عموما لا تصلح كمقاربة للموضوع، ويمكن أن نصفها بالزاوية الأفقية، لذا الأصح هو المقاربة الاجتماعية- السياسية، أو

والبحوث، ط٣، دبي: أغسطس ٢٠١١، ص ١٤.

(١) وليد عبد الحي، إيران مستقبل المكانة الإقليمية عام ٢٠٢٠، الطبعة الأولى، الجزائر: مركز الدراسات التطبيقية والاستشراف، ٢٠١٠، ص ٢٨.

الزاوية العمودية التي تنظر للعلاقة من خلال المرجعيات العلمية وتأثيرها على القيادات السياسية خصوصا، والمجتمع عموما.

فمِن هذا المنطلق نجد أنه رغم التداخل في المجتمع العراقي الذي أدى إلى التعايش بين السنة والشيعة عبر العديد من القرون إلا أن العقل الفقهي الشيعي لم يتغير تبعا لذلك التعايش، ولا زالت مواقفه من السنة تنهل من تراثه الفقهي الطائفي الإقصائي، وهذا ما ينعكس في الأزمات حيث يصطف الشيعة وراء مرجعياتهم سواء عسكريا من خلال المليشيات المسلحة التي أنشئت بعد الاحتلال الأمريكي والتي استهدفت السنة ومحاولة تهجيرهم وجعل بعض المناطق شيعية خالصة، أو سياسيا من خلال الأحزاب السياسية الشيعية المدعومة من المرجعيات على غرار حزب الدعوة والتيار الصدري والمجلس الأعلى بزعامة الحكيم.

هذا في العراق أما في الدول الأخرى فإن القوى الشيعية المؤمنة بولاية الفقيه لا زالت تسبح في فلك السياسة الإيرانية، والعامل الطائفي هو المحدد الأساسي لمواقفها، ورغم كل محاولاتها العزف على وتر المواطنة فإن ذلك كان بقصد جلب مكاسب سياسية تصنف ضمن دائرة الحقوق، أما وتر الوطنية والذي يعبَّر عنه بالواجبات تجاه الوطن فإن ذلك مما ينعدم في الحالة الشيعية، ولعل حزب الله اللبناني أفضل نموذج عن هذه التناقضات. فالحالة اللبنانية ربما تكون أكثر تعبيرا عن مستوى التطور في الفكر الشيعي وما ينتظر منه، فحزب الله الذي انخرط في العملية السياسية وكان يدعي أن له خطا واحدا هو المقاومة، سرعان ما انغمس في المستنقع السوري، وإذا كانت البيئة اللبنانية بانفتاحها وتعدديتها لم تثنِ حزب الله عن الانكفاء الدولتي والوطني فما هو المتوقع والمنتظر من بيئات اجتماعية أخرى[1]؟

بدورها لما تمكنت مجموعة من الطائفة العلوية من السيطرة على السلطة في سوريا ورغم تبنيها لأيديولوجية علمانية فإن البعد الطائفي كان محددا أساسيا في سلوكها السياسي من خلال التغلغل داخل مؤسسات الدولة وتطييفها وبشكل خاص المؤسسة العسكرية التي أصبحت جل قياداتها من هذه الطائفة، وعلى المستوى الخارجي فان التحالف الإيراني – السوري لم يكن خافيا عليه البعد الديني الطائفي، وهو ما انكشف خلال الثورة السورية حيث تبين حجم ومدى عمق العلاقة الطائفية بين الطرفين، وهو ما حاول البعض استبعاده ردحا من الزمن وكانوا يجدون في ذلك مبالغة، كما لا يزالون يصرّون على وسم حزب الله بالمقاومة، رغم أن سنتين من الثورة السورية ومعارك القصير أصبح معها الحديث عن مقاومة حزب الله مهزلة ومدعاة للضحك.

إذا الثقافة السياسية الشيعية لا زالت مستلهمة ومستمدة ومحصورة في إطارها الطائفي ولم تخرج عنه إطلاقا، فحتى المجتمعات الشيعية الخليجية عموما والأحزاب السياسية خصوصا مواقفها على مر العقود الأخيرة لم تخرج عن الإطار الإيراني، وكما لم تكن هناك مواقف معتبرة من المرجعيات الشيعية الكبرى، فإن بعض الأصوات الدينية الشيعية المنددة بموقف حزب الله لم تلقَ أي استجابة شعبية.

المنحنى الطائفي

والمسألة ليست مسألة حقوق سياسية لإخماد البعد الطائفي الشيعي، بل المشكلة أن التمكين السياسي الطائفي ليس النهاية فهو مرحلة أولى فقط، ولا يتوقف عند حدود الدولة وإنما يسعى للتوسع أكثر، فالقوى الشيعية تنطلق من فكرة عالمية بالدرجة الأولى وهي الدولة المهدوية، وحتى النظام النصيري (العلماني) في سورية فانه اندمج

(١) لتفاصيل أكثر انظر: بوزيدي يحيى، حزب الله: الوثيقة السياسية والثورة السورية، مجلة الراصد، العدد ١٢١، على الرابط:
http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6162

بسرعة في المشروع الطائفي الإيراني، وبعد التمكين السياسي فإن أي تراجع لهذا المشروع لا يفهم على المستوى الطائفي أنه يدخل في إطار التنافس السياسي (الديمقراطي) بين القوى المجتمعية، وإنما يعتبر في ذهن الطائفة استهدافا ذاتيا وتهديدا وجوديا، لذلك ردة الفعل هي متطرفة في العنف، وما يؤكد اعتباره استهدافا وجوديا هو ذلك التضامن بين الشتات الطائفي والتنسيق والتلاحم الميداني والوجداني في كل الأصقاع بما في ذلك العلويين الأتراك.

والمشاريع الشيعية السابقة لم تتثنِ عن أهدافها مطلقا، ولم تحاول التنازل والتراجع لأجل أهداف أسمى وأعلى، وفي سبيل استمراريتها لم تجد مانعا في التحالف مع أعداء الأمة، والمشروع الطائفي الحالي لا يتوقع منه مراجعة أهدافه وتكييفها، ومجريات الأحداث في سورية تؤكد هذا، فإيران لم تتراجع عن دعمها للنظام النصيري بل رمَت بكل ثقلها خلفه، وأكثر من ذلك حشدت له الميليشيات الشيعية في المنطقة.

ومعارك القصير والمجازر التي وقعت في محافظة حمص أكدت صواب التحليلات السابقة التي ذهبت إلى سيناريو ومشروع الجيب العلوي الذي سيكون آخر حل بالنسبة لإيران والقوى الشيعية، حيث تتمركز معظم الأقلية العلوية في تلك المنطقة.

هذه الأخيرة حتى الآن لم تصدر عنها هنا أي سلوكات تعبر عن التضامن الوطني باعتبارها مكونا من مكونات الشعب السوري، إذ لا زالت تشكل القرى والتجمعات العلوية حاضنة للنظام، ومنطلقا للقيام بعملياته ضد القرى الأخرى ذات الغالبية السنية، هذا الواقع يؤكد حقيقة بغض النظر عن الموقف منها وهي تأثير المعتقد الديني على الموقف السياسي، وهو ما تجلى أيضا في مفاخرة نصر الله بدفع بعض العائلات الشيعية بابنهم الوحيد للجهاد في سورية، هذه الحقيقة التي حاول البعض تجاوزها أو التغاضي عنها، ليصطدموا بها في النهاية ولكن بعدما أصبحت التكلفة كبيرة جدا.

الخلاصة

برر حسن نصر الله في خطابه الأخير انخراطه في الجبهة السورية بما سماه مرحلة جديدة هي تحصين المقاومة وحماية ظهرها، من هذا المنطلق فإن هذا الموضوع الذي نطرقه والمتعلق بدور الطائفة الشيعية وسلوكها العنفي يدخل في إطار تبيين مكامن الخلل لظهر الأمة أيضا.

فالمشهد الحالي الذي نعيشه ونرى فيه اصطفاف القوى الشيعية إلى جانب بعضها البعض وتكتلها، وكل ما تلحقه بالأمة من أضرار ليس استثناء وإنما منهج كثيرا ما تكرر في التاريخ بل وارتبط بها، والمقصود هنا الشيعة ليس في حالة الكمون وإنما في حالة الحركية والنشاط، أي مقاربة سياسية لحركية المجتمعات الشيعية، أو بتعبير آخر منظور من زاوية عمودية وليس أفقية.

وحجم الخطر على هذا الأساس يقدر بحجم وقوة الطائفة، فكلما امتلكت إمكانات وقدرات أكثر كان خطرها أكبر، والتراجع لا يحدث إلا بعد فقدان القوة، لتدخل في مرحلة كمون وخمول، وتعاود النشاط مرة أخرى، إذا امتلكت قدرات جديدة.

ومواقف المتشيعين في غالبهم الأعم المنسجمة مع باقي القوى الشيعية والتي كانت ولا زالت مؤيدة للعنف الذي يمارسه النظام السوري وحزب الله، هي مؤشر على ما يمكن أن يقوم به هؤلاء في المستقبل، إذا ما استمرت الظاهرة في التطور فليس من المستبعد أن نشهد كانتونات شيعية في مصر والدول المغاربية على المستوى البعيد، تساهم في مضاعفة الشروخ المجتمعية ويصبح ما نشهده في المشرق واقعا معاشا في المغرب.

لقاء مع السيد طالب المذخور
مسؤول المكتب السياسي للمنظمة الوطنية لتحرير الأحواز (حزم)

أجرى اللقاء: زياد الحراسيس(*)– خاص بالراصد

١ــ ما هي العوامل التي ساعدت الدولة الإيرانية في إقصاء القضية الأحوازية طوال هذه العقود في المحافل الدولية والعربية والإسلامية؟

هناك عدة عوامل الأول منها أن ما يسمى بالدولة الإيرانية اليوم هي إحدى مخططات ونتائج اتفاقية سايكس بيكو التي أسست لمشروع الدولة اليهودية في فلسطين، وكانت بريطانيا تبحث عن دولة قوية ومترامية الأطراف تكون حائلا بين الاتحاد السوفيتي والهند، فسميت الدولة الجديدة عام ١٩٣٦م باسم «إيران» بعد أن كان اسمها (بلاد فارس) بعد نصيحة من ألمانيا لكي يدرج الاسم الجديد في مؤسسات عصبة الأمم، وتم ذلك بعد احتلال الأحواز بثرواته الهائلة في عام ١٩٢٥م بمساعدة بريطانيا، والتي أبدل الشاه رضا بهلوي اسمها من عربستان إلى خوزستان عام ١٩٣٦م بعد اغتيال الشيخ خزعل الكعبي ممثل الشرعية الأحوازية بغية نكران وجود شعب عربي ودولة على هذه الأرض.

ولم يكن الأحوازيون في تلك الفترة يمتلكون أي وسيلة من وسائل التأثير على المخططات والمصالح الاستعمارية العالمية آنذاك، وفي نفس الوقت كانت جميع الدول العربية محتلة من قبل قوات أجنبية، وكان هذا من أهم العوامل التي شرعنت احتلال الفرس للأحواز وباعتراف دولي من قبل عصبة الأمم.

والعامل الثاني الذي كرس واقع الاحتلال هو تقسيم الدول العربية بين عدة احتلالات أجنبية، وجرى تأسيس وتسييس تلك الدول على ما يضمن المصالح الاستعمارية الاستراتيجية في المنطقة، وحينما أسست حكومات عربية بعد انتهاء حقبة الاستعمار، فإن المناورات السياسية للدول العربية كانت ولا تزال تُختزل في كيفية الحفاظ على كيان النظام القائم وليس هناك أي سياسات ممنهجة للحفاظ على ما يسمى (الأمن القومي العربي)، وعلى هذا الأساس فإن دعم القضية الأحوازية سياسيا أو ماديا يعتبر من وجهة نظر الأنظمة العربية تهديد مباشر للمصالح الدولية وبالتالي تهديد مباشر لبقاء النظام الحاكم للدولة الداعمة للقضية الأحوازية.

العامل الثالث هو العلاقات المتميزة بين شاه إيران محمد رضا بهلوي والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والتي انعكست أيضا على العلاقات المتميزة بين إيران والدول العربية في الخليج العربي مما ساهم في جعل القضية الأحوازية كملف (سري للغاية).

العامل الرابع هو الثروة الأحوازية الهائلة من النفط والغاز والأراضي الخصبة ووفرة المياه جميعها وفرت لإيران وسائل عديدة للسيطرة على الأحواز على مستوى الداخل والخارج، ففي داخل الأحواز انتهجوا سياسة (التفريس) وبناء المستوطنات لتغيير هوية المنطقة بالتوازي مع إفقار العرب غير المتعاونين معهم. وعلى مستوى الخارج بتأسيس جيش قوي وأجهزة أمنية عديدة قادرة على قمع أي ثورة أحوازية أو صد أي هجوم خارجي على الأحواز..

والعامل الخامس يتعلق باعتبار أن الأحواز لا تنسجم مع مكونات الدولة الإيرانية من الناحية الإثنية والجغرافية، وباعتبارها تشكل الشريان الرئيس للقوة الاقتصادية والعسكرية لإيران، فإن هذه الحقائق شكلت هاجسا مستمرا للفرس منذ احتلال الأحواز إلى يومنا هذا ألا وهو (الخوف من ضياع الأحواز) كنتيجة محتملة في حال تغيرت سياسات الدول العربية، مما دفعهم لانتهاج سياسة مؤثرة في دول الجوار العربي (العراق، دول الخليج

(*) كاتب

العربي) عن طريق صناعة قوى محلية فاعلة في الدول العربية تستطيع أن تؤثر على القرار السياسي في تلك الدول سميت في نظرية أم القرى (الدفاع الإيجابي)، والتي كان يُعمل بهذه السياسة في زمن الشاهات أيضا.

ولذلك فإن الفرس سعوا لدعم المقيمين من أصول فارسية في دول الخليج العربي والعراق، وسعوا لتشكيل أحزاب سياسية على أساس طائفي في تلك الدول سواء بشكل سري أو علني كحزب الدعوة في العراق منذ ستينيات القرن الماضي، ومارس الفرس ضغوطاً سياسية لتوطين الفرس في بعض الدول العربية كالبحرين والكويت والإمارات في زمن الشاه محمد رضا بهلوي، وصولا إلى حكم الملالي في طهران حيث تبنوا نظرية قيادة المذهب الشيعي في العالم. ولذلك نجد اليوم أن أغلبية الشيعة العرب ينتمون ويدافعون عن المصالح الإيرانية ولو على حساب الحق العربي في الأحواز التي يشكل الشيعة أغلبية شعبها.

وكل هذه العوامل مشتركة ساعدت الفرس لحد كبير في إقصاء القضية الأحوازية عن الواجهة من خلال ممارسة ضغوط دولية على الدول العربية ومن خلال ضغوط إيرانية على قوى محلية فارسية وعربية شيعية في الدول العربية المجاورة للأحواز.

٢ ـ هل ترى أن الخطاب القومي والسياسي العربي أصبح باليا في ظل معطيات التحولات الدولية بعد انهيار المعسكر الشرقي وتنامي العداء العلني للإسلام في الغرب والشرق؟

الخطاب السياسي القومي العربي يشبه جسد إنسان مقطوع الرأس، فهو خطاب ميت، لكنه الخطاب الوحيد القادر على أن يجعل لتلك الأنظمة وخصوصا الثورية منها مشروعية تستمر فيها بالحكم من خلال اجترار مشروع الوحدة العربية والقضية الفلسطينية.

وهذا الخطاب القومي العلماني كان ينسجم وتطلعات الغرب وذلك لسببين هامين:

الأول- يتمحور حول إنهاء إرث ومخلفات الدولة العثمانية العقائدية كدولة إسلامية وفيها أمة العرب مجتمعين في تلك الدولة، فعمل الخطاب القومي المعلمن والقُطري على تعميق وترسيخ فصل الدين عن الدولة وكان هذا مطلب المسيحيين في الدول العربية الذين أغلب مفكري القومية العربية منهم، وبرغم أن رواد الفكر القومي العربي كانوا خريجي جامعة السوربون في فرنسا، فقد طرحوا مفهوم الأمة على أساس اللغة المشتركة والتاريخ والمصالح المشتركة وليس على أساس رابطة الدم وهذا منافٍ تماما لمفهوم الأمة التاريخية التي لا تقوم إلا على أساس رابطة الدم أو العقيدة، وما تحدثوا عنه وعرّفه الدكتور عزمي بشارة حديثا من أن (القومية العربية ليست رابطة دم ولا عرق، بل هي جماعة متخيلة بأدوات اللغة ووسائل الاتصال الحديثة تسعى إلى ان تصبح أمة ذات سيادة).

وأعتقد أن هذا التعريف بلا ريب هو تعريف لمفهوم الوطن وحق المواطنة وليس تعريفا لمفهوم (الأمة التاريخية)، وإن المثل الأمريكي لمفهوم الأمة لا يمكن أن يطبق على أمم لها جذور عميقة في التاريخ تمتد إلى أكثر من ستة آلاف سنة، ولا يمكن تجاهل أكثر من ١٠٠٠ عام من التاريخ الإسلامي ومحوه في عملية اختزال المفاهيم، والأمة الأمريكية هي (أمة سياسية) بلا تاريخ وتختلف جذريا عن تعريف الأمة العربية أو الأمة الإسلامية. وهذا موضوع يطول الحديث فيه.

ولذلك رغم تحدثنا نحن الأحوازيين باللغة الفارسية منذ قرابة ٨٨ عاما وننتمي لنفس المذهب الشيعي الذي ينتمي له الفرس إلا أننا نجد أنفسنا كشعب ننتمي إلى الشعب العربي وأكثر قربا من الشعب العراقي والشعب العربي في دول الخليج العربي ولا ننتمي لما يسمى بالشعب الإيراني. وهذا ما حدث مع الشعب الجزائري أيضا.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن الخطاب القومي العربي كان يكرس مفهوم القُطرية ومحاولة هيمنة قُطر على آخر، وجعل المسألة القطرية فوق أي اعتبار آخر لأنها متصلة بالسلطة

والحكم، ولو أن هذا لم يكن من ضمن النوايا ولا السياسات، ولكن النتائج التي وصلنا إليها تثبت هذه الحقيقة. وبالمقابل فإن الأحزاب الإسلامية التي ناصبت الأنظمة القومية العداء فإنها أيضا دفعت باتجاه تفتيت قدرات الأمة العربية بنفس الدرجة.

الثاني- أن الخطاب القومي العربي كان أهون الشرين على الغرب والشرق وإسرائيل، وهو يخدم مصالحهم ويخدم الكيان الصهيوني على المستوى الإستراتيجي فهو أقل خطرا على كيان إسرائيل من الخطاب الديني القومي.

٣ - إلى أي مدى نجحت إيران في جعل القضية الأحوازية قضية قطرية وإخراجها من بعدها الإسلامي والقومي؟

كما ذكرتُ سابقا أن إيران استطاعت لحد الآن أن تجعل من القضية الأحوازية قضية ذات طابع وشأن داخلي على صعيد السياسة الدولية وذكرتُ العوامل، ولكنها فشلت في ترسيخ هذا المفهوم السياسي في ما يسمى بدولة إيران، فهناك شرخ عميق وعداء كامن في النفوس بين العرب الأحوازيين من جهة والفرس من جهة أخرى، فحسب نتائج الدراسة التي قام بها مكتب بحوث ودراسات في جامعة طهران قبل عدة سنوات حول الشعوب غير الفارسية ومدى اندماجها في الدولة الإيرانية، كان مفادها أن الشعوب غير الفارسية تنسجم مع الدولة الفارسية كلما تعلمت وتثقفت أكثر، بمعنى أن المتعلمين تعليما جيدا والمثقفين من أبناء الشعوب هم أكثر اندماجا مع الدولة الإيرانية من أبناء نفس الشعوب غير المتعلمين.

وهذه القاعدة تنطبق على الشعوب غير الفارسية ما عدا الشعب العربي الأحوازي، فلقد ذكر البحث أن العرب كلما تعلموا وتثقفوا كلما ازدادت عندهم النزعة (الانفصالية) كما ورد في البحث، وهذه حقيقة نجدها من خلال أن أغلب الذين تم إعدامهم من قبل المحكمة الثورية العسكرية للاحتلال الفارسي كانوا من حملة الشهادات الجامعية. وأول تنظيم سياسي أحوازي في نهاية الخمسينات (جبهة تحرير عربستان) كانت قيادته من نخبة المتعلمين في المدرسة العراقية في مدينة المحمرة (خرمشهر بعد التفريس).

ولذلك فإن نجاحها على المستوى الدولي مرتبط بخارطة المصالح الدولية وهذه مصالح تتغير مع تغير الإرادات الشعبية.

٤ - ما هي المؤهلات التي جعلت الإعلام الإيراني يخترق العقل الإسلامي ويقدم إيران بصورة جميلة عبر وسطائه في المنطقة؟

لا يمكن فصل الإعلام عن السياسة فهو تعبير صريح عن سياسة الدولة أو عن مشروعها. والدولة الإيرانية هي نتاج عقل فارسي يحمل إرثا عنصريا ضد العرب بشكل خاص، وعقل إستخباراتي أمريكي، وعقل إعلامي بريطاني، هذه هي الدولة الإيرانية باختصار.

فأول جهاز للقوات الأمنية في إيران أسسه الضابط الأمريكي هربرت شوارزكوف، والد نورمان شوارزكوف قائد قوات التحالف في حرب الخليج العربي الثانية. وبعد ذلك في عام ١٩٧٧م أسست المخابرات الأمريكية بالتعاون مع المخابرات الإسرائيلية جهاز السافاك الإيراني، والذي لم تتغير قواعد إدارته بعد استلام المعممين للسلطة في طهران وليومنا هذا.

ومن الجهة الإعلامية فإن الإعلام في إيران تتلمذ على يد المخابرات البريطانية، وبالتالي فإن النهج المتبع في الإعلام الإيراني اليوم هو نتاج المدرسة البريطانية، وبالتالي فإن كل ما يرتبط بالإعلام الإيراني الموجه للعرب يعتمد على أساس دقيق من المعرفة بميول الشارع العربي السياسية وظروفه الاجتماعية والاقتصادية، وهو إعلام خطير لأنه ممنهج بأسلوب علمي قادر على استخدام الوسائل التي تجعل من العقل العربي الجماهيري البسيط أن ينخرط في مشروع يخدم المصالح الإيرانية الإستراتيجية دون وعي وإدراك منه على أن الانجرار

وراء المشروع الفارسي سيؤدي إلى كوارث يدفع ثمنها المواطن العربي ذاته، سواء للذين مع المشروع أو الذين يحاربون المشروع بنفس الأسلوب الطائفي.

وتتبع وزارة الإعلام وزارة استخبارات الولي الفقيه مباشرة، وإن ميزانية كل وزارة تفوق الميزانيات السنوية الكاملة لأغلب الدول العربية، وليس هناك قنوات فضائية مستقلة في إيران، إنما جميعها تنفذ سياسات وتعليمات أجهزة الاستخبارات (الحرس الثوري).

وإيران كانت على علم مسبق أنها لا تستطيع تجيير كل العرب لصالح مشروعها، وأنها لن تستطع اختراق العقل الإسلامي، ولكنها تستطيع أن تدفعهم باتجاه الهاوية عن طريق افتعال حرب طائفية في المنطقة باعتبار أنها تستطيع كسب الشيعة العرب انطلاقا من نظرية قيادة المذهب الشيعي في العالم، وسيكون الرابح الوحيد فيها إيران وإسرائيل.

أما من ناحية القضية الفلسطينية ودعم المقاومة فهذا موضوع يتعلق بالاستقطاب الطائفي بالدرجة الأساسية وسياسة صناعة أدوات الصراع، والقضية الفلسطينية مبرر معقول ومقبول لتشكيل كيانات قوية في الدولة العربية موالية لإيران، ولنفترض أن حزب الله اللبناني لم يطرح مشروع المقاومة ضد إسرائيل فكيف كان يمكن لإيران تزويده بشكل مشروع بالسلاح حتى بات دولة داخل لبنان أقوى من الدولة اللبنانية ذاتها. ومن ناحية بعض الكتاب والصحفيين العرب فهم لا يختلفون في مهنتهم عن مهنة الشاعر الذي كان يمدح بأجر، ونحن كأحوازيين رصدنا عددا من الصحفيين العرب كانوا يستهدفون إيران يوميا، وكنا على علم أنهم يتنظرون من إيران المال السخي لكي يغيّروا اتجاه أقلامهم وهذا ماحدث فعلا، فالقلم ليس بالضرورة أن يكون وسيلة فكرية شريفة، إنما هو في حالات كثيرة وسيلة من وسائل العيش والارتزاق.

٥ ـ ما هو الموقف الدولي الحقيقي من القضية الأحوازية قانونياً وعلى الصعيد السياسي المعلن رسميا؟

في عام ١٩٨٨ وقبيل انتهاء الحرب الإيرانية ـ العراقية، كان الجيش الإيراني قد هزم تماما خصوصا في الجبهة التي كانت في الأحواز، وكان الشعب الأحوازي على استعداد تام لاستقبال الجيش العراقي في المدن الأحوازية، ولكننا فوجئنا بموافقة العراق على وقف إطلاق النار بعد أن تجرع الخميني كأس السم ووافق على إنهاء الحرب.

ومن خلال مصادر من أعضاء القيادة العسكرية العراقية في الفيلق السابع، قالوا لنا إن وزير الدفاع عدنان خير الله طلفاح لم يكن موافقا على وقف إطلاق النار وقال لصدام إن الأحواز أمامي تنتظر، ثم إن قائد الفيلق السابع ماهر عبد الرشيد قال بالحرف الواحد (لا أستطيع التوقف وأنا أرى المحمرة أمامي).

فموقف العسكريين كان مبدئيا بينما كان للسياسيين موقف مختلف لأنهم مرتبطون بأجندة دولية هي الضامن الوحيد لبقائهم في السلطة، فمن المؤكد أن المواقف العربية الرسمية من القضية الأحوازية تدرك أن التورط في هذه القضية هو خط أحمر أمريكي غربي وروسي وإسرائيلي بنفس الوقت قبل أن يكون إيرانيا، ومن خلال ما تسرب إلينا فإن الولايات المتحدة ترى أن مصالحها الإستراتيجية مرتبطة بتغيير بنية النظام في إيران وليس المساس بالخارطة الجغرافية السياسية الإيرانية، فالمواقف الدولية تحددها مصالح الدول أو الأنظمة وليس الشعوب غير القادرة على النهوض.

أما من الناحية القانونية، فإن ماحدث للأحواز هو احتلال عسكري في زمن استعماري، ويستطيع الأحوازيون بدعم من إخوتهم العرب تفعيل الجانب القانوني والشرعي للقضية الأحوازية، خصوصا وأن الشعب العربي الأحوازي لم يشرعن وجود الاحتلال وقاومه منذ عام ١٩٢٥م ولا زالت المقاومة قائمة، ولذا فإن حق تقرير المصير للشعب العربي الأحوازي مكفول حسب القانون الدولي.

٦ ـ هل هنالك مؤشرات لتغيير المعادلة الدولية من القضية الأحوازية في المستقبل المنظور؟

المعادلة الدولية تتغير في حالتين فقط، أولا في حالة ظهور قوى جديدة منافسة على المصالح الاستراتيجية، وقد تؤدي إلى نشوب نزاع مسلح وعلى ضوء نتائجة تتغير معادلة المصالح الدولية، وفي الحالة الثانية عندما تستطيع الشعوب فرض إرادتها على المجتمع الدولي.

وفي السنوات الأخيرة ونتيجة ثورة الاتصالات فإن الأحوازيين في المنافي استطاعوا بجهود فردية وجماعية من طرح القضية الأحوازية على المجتمع العربي والدولي، وساعدت التقنيات الحديثة على نقل الأحداث التي جرت وتجري في الأحواز للعالم بالصوت والصورة خصوصا بعد انتفاضة ١٥ نيسان ٢٠٠٥م. ونستطيع القول إن الأحوازيين تمكنوا من كسر طوق العزلة الذي فرضته إيران عليهم خلال عقود عديدة وبات المواطن العربي ولو بنسبة قليلة من الشعوب العربية على اطلاع على قضية عربية مغيبة لفترات طويلة من الزمن.

ومن الطبيعي فإن كثيرا من الأنظمة العربية تدرك أن المشروع الإيراني يهدد كيان دولها من خلال تمزيق اللحمة الاجتماعية بين أبناء الشعب الواحد، فبدأت بعض الجهات غير الرسمية محاولات خجولة جدا وغير مدروسة لدعم القضية الأحوازية، ومع هذا فإن هذا التصرف يعتبر مؤشراً جيداً باتجاه فرض واقع دولي جديد على إيران والمنطقة والمجتمع الدولي، ونعتقد جازمين أن المستقبل سيكون للشعوب وليس للاستبداد وسيكون الشعب العربي الأحوازي أول من يحقق إنجازات على مستوى المنطقة برمتها.

٧ـ هل قدمت الدول العربية الحد الأدنى من الرعاية والدعم للقضية الأحوازية سياسياً وماديا؟

في نهاية الخمسينات دعم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر القضية الأحوازية، ولكنه كان دعما بسيطا من الناحية العسكرية نتيجة لقلة إمكانات الدولة المصرية، ودعما إعلاميا وسياسيا جيدا أدى إلى توصية من مؤتمر المحامين العرب الذي عقد في مدينة الإسكندرية عام ١٩٦٨م إلى جامعة الدول العربية لتخصيص مقعد في الجامعة العربية للقضية الأحوازية أسوة بالقضية الفلسطينية، ولكن العراق رفض التوصية بحجة أن الأحواز والكويت هي قضايا ذات شأن داخلي عراقي، وهدد بعض الدول العربية في حال اعترافها بالقضية الأحوازية، وبهذا استطاع النظام العراقي أن يعتبر القضية الاحوازية ورقة سياسية للمساومة مع الدولة الإيرانية مقابل القضية الكردية في العراق والتي كانت إيران تقدم لهم (للأكراد) دعما غير محدود، ففي أثناء الحرب الإيرانية ـ العراقية، أسس العراق جيش تحرير الأحواز وفتح مكاتب للجبهة العربية لتحرير الأحواز في عدة محافظات عراقية، ومع انتهاء الحرب انتهى دور القضية الأحوازية من وجهة نظر النظام العراقي.

ونجزم أن الأنظمة العربية تتحمل جزءا كبيرا من المسؤولية التاريخية فيما يتعلق بالقضية الأحوازية وفيما يتعلق بمصير الشعوب العربية أيضا، لأنها ساهمت في ترك إيران تستفيد من الثروة الأحوازية للوصول إلى ما وصلت إليه، فلو أن العرب اعترفوا بالقضية الأحوازية كقضية شعب عربي تحت احتلال أجنبي منذ الخمسينات، لما استطاعت إيران التمتع بالثروة الأحوازية وضرب العرب بها حتى يومنا هذا. ولما استطاعت أن تكسب بعض العرب والشيعة العرب بحجة المذهبية ودعم القضية الفلسطينية لأنها كانت ستكون بنظر الشعوب العربية دولة أجنبية تحتل دولة عربية وشأنها في التعامل كما هو شأن إسرائيل.

٨ ـ ما هي تداعيات الانتخابات الرئاسية القادمة في إيران على مستقبل القضية الأحوازية والوضع الداخلي الإيراني وعلاقات إيران الإقليمية؟

إن الدولة الإيرانية هي دولة مبنية على أساس

عنصري ولكنها دولة مؤسسات لا تتأثر بطبيعة النظام الحاكم إلا بالدرجة التي يستطيع فيها النظام خدمة المشروع الفارسي أو فشله في ذلك، ولا يمكن تطبيق أي نظام ديمقراطي في إيران لأنه سيؤدي إلى تفتيت الدولة، ونتيجة لهذه الحقيقة فإن ظهور تيار إصلاحي مقابل تيار محافظ لا يعني أن الطرفين يختلفان من حيث المبدأ والهدف ولكنهما يختلفان من حيث الكيفية أو الوسائل التي تحقق الهدف.

فالإصلاحيون يرون أن ما كان يصلح قبل عشرين عاما لايصلح للحاضر ولا للمستقبل، وإن وعي الشعوب غير الفارسية يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، وأن أفضل وسيلة للحفاظ على ما يسمى (الأمن الوطني الإيراني) هي بإعطاء الشعوب غير الفارسية بعض الحقوق بمقابل التغيير الديمغرافي السريع للأقاليم خصوصا الأحواز العربية، وبالمقابل فإن المحافظين يرون أن القوة العسكرية والسلاح النووي وأسلوب (الدفاع الإيجابي) الذي يكفل وجود أوراق ضغط قوية في المنطقة العربية كفيلة بالمحافظة على (الأمن الوطني الإيراني) لأن إعطاء بعض الحقوق وخصوصا للعرب سوف يعجّل من وقوع الأزمة ويزيدها تعقيدا.

ولذلك فإن الانتخابات في إيران مسأله قد تهم الفرس لمجرد إرضاء الغرور أو لامتصاص نقمة الشباب، وتهم فئة انتهازية تحقق امتيازات فردية وهذه فئة موجودة في كل دول العالم.

وعلى مستوى السياسة الخارجية فإن رئيس الجمهورية لا يمتلك صلاحيات تحديد السياسة الخارجية والإعلام ووزارة الاستخبارات والدفاع والداخلية والمالية، فكل الحقائب السيادية بيد الولي الفقيه، والفُرس يجيدون فن تبادل الأدوار، وإن تعويل الدول العربية على رفسنجاني أو غيره كمن يستجير من الرمضاء بالنار. وبالنسبة للقضية الأحوازية فهي كأختها القضية الفلسطينية، فماذا يعني للفلسطينيين إن كان الليكود يحكم في إسرائيل أو حزب العمل. وتغيير رئيس الجمهورية في إيران أو حتى الولي الفقيه أو سقوط النظام برمّته لا يغيّر من واقع الاحتلال الفارسي للأحواز شيئا.

٩ ـ كيف ينظر الأحوازيون للاختراق الإيراني للدول العربية والإسلامية عبر ما يسمى بالسياحة الدينية والدعاية المجانية للدولة الإيرانية؟

نعتقد أن أغلب الدول العربية لا تمتلك معلومات دقيقة حول بنية الدولة الإيرانية ومدى حساسيتها من خارطتها السياسية المعقدة في الداخل، فليس من السهل على دولة تحكم فيها قوميةٌ فارسية خمسَ قوميات أخرى أن تستمر إلى الأبد، فليس هناك ما يسمى بالسياحة في إيران ولو الدينية إلا إلى الدول التي تستطيع فيها الأجهزة الأمنية من ممارسة مهامها الأمنية كما تمارسها في إيران مثل (سوريا، لبنان، العراق، الكويت، البحرين، تركيا وإلى حد ما الإمارات واليمن).

وبالنسبة لدولة مثل مصر فلن يدخلها سائح إلا من أفراد الحرس الثوري وعوائلهم وهؤلاء جزء أصيل من النظام في إيران، والفرس أصحاب نفس طويل في السياسة ودولة تمتلك مشروعا لأجيال، ولايتعجلون في حصد نتائجهم، ولكن على سبيل المثال في مصر، سنجد أن الإيرانيين وعن طريق العرابين العرب سوف يستهدفون أولا القرى النائية والفقيرة جدا، وسوف تنشأ مدارس ومستشفيات وجمعيات خيرية لمساعدة الأسر الفقيرة وسوف يصول الإعلام الإيراني ويجول في مصر، وهذا في ظاهرِه عمل إنساني لا تجد الحكومة المصرية مبررا لرفضه.

والأمة العربية بشكل عام تعاني من عدم نضوج في الفكر السياسي الحزبي، وإلا فإن الحزب الحاكم لا يمتلك صلاحية المغامرة في الأمن الوطني والذي ينعكس ضرره على الأمن القومي العربي بشكل عام. فالعلاقات الدولية علاقات ندية وتبادل مصالح على جميع المستويات، وإذا كانت الحكومة المصرية تجد أن لديها مصلحة اقتصادية مقابل موطئ قدم للمشروع الإيراني في

عاصمة الدولة الفاطمية، فالأحواز بحاجة ماسة إلى فتح فرع أو مكتب للأزهر الشريف فيها، فإن رفضت إيران هذا الطلب المصري، فعلى مصر أيضا أن لا تسمح للحرس الثوري بتدنيس أراضيها.

١٠ ـ ما هو البعد الاستراتيجي لربط القضية الأحوازية بمجريات الثورة السورية وتداعياتها إقليمياً ودولياً؟

إن الثورة في سوريا تعني لإيران أنها ستفقد مئات المليارات من الدولارات صرفتها لكي تسيطر على سوريا ولبنان، وحصيلة عمل سياسي واستخباراتي لما يزيد عن أربعين عاما، واختراقا مخيفا يهدد مشروعها بالسقوط. ويكفي أن نذّكر بقول محمد طائبي (المسؤول عن مكافحة الحرب الناعمة الموجهة ضد إيران) حين قال: «لو خسرنا سوريا لن نحتفظ بطهران، ولو خسرنا خوزستان (الأحواز) سوف نستعيدها ما دام النظام السوري موجودا»، وهذا شاهد من أهلها يربط الثورة السورية بالأحواز وهو رجل استراتيجي لا يقول الكلام جزافا. ونحن كأحوازيين نعي ونفهم تماما ما قال طائبي وربما مر تصريحه على كثير من إخوتنا العرب مرور الكرام بما فيهم بعض إخوتنا السوريين، فإيران ترى أن نجاح الثورة في سوريا سيكون سببا مباشرا للاعتراف بالقضية الأحوازية وتدويلها.

ومن المؤسف أن لا يدرك العرب ماذا تعني لهم الأحواز وماذا تعني لإيران، فإيران تجد نفسها محتلة لسوريا ولبنان بالنيابة كما تحتل العراق وتسعى لاحتلال اليمن أو تقسيمه ثم دول الخليج العربي، وإن تحرير سوريا من الاحتلال الفارسي سيؤدي إلى تحرير لبنان ثم تحرير الأحواز فالسوريون لن يغفروا جرائم الفرس في سوريا، ولكي تحافظ إيران على الأحواز فإنها سوف تحرق المنطقة العربية برمتها للمحافظة على النظام السوري دون أن تستخدم قواتها العسكرية، بل سوف تستخدم العرب لقتال العرب عن طريق تشبيب الحرب الطائفية، والكل يعي ما يحدث في سوريا ولبنان والعراق واليمن وسينتقل إلى الكويت والبحرين والمملكة العربية السعودية متى ما شاءت إيران.

وأعتقد أن المنقذ الوحيد من حرب طائفية في الوطن العربي هي القضية الأحوازية، وإن طرحها وتدويلها سوف يحفظ للأمة العربية دماء أبنائها وبناها التحتية وأموالها وذلك لأسباب موضوعية منها:

١ــ أن الاعتراف بالقضية الأحوازية سوف يعجّل في سقوط النظام السوري وحزب الله اللبناني معا فهو يسحب الورقة الطائفية التي يجيشون فيها السوري على السوري واللبناني على اللبناني، ولو تنبه لذلك إخوتنا الثوار في سوريا لطالبوا إيران بالإفراج عن أسرى أحوازيين شيعة حكم عليهم بالإعدام مقابل الإفراج عن الأسرى الإيرانيين الذين قايضهم الثوار بالإفراج عن معتقلين سوريين لدى النظام، فالنظام إن أفرج عن ألف معتقل فسوف يزج بألفين في الأسبوع التالي.

٢ــ أن غالبية الشعب الأحوازي من الشيعة، وطرح معاناة الشعب الأحوازي بشكل واسع سوف يكشف زيف ادعاء الفرس بحماية المذهب الشيعي وأتباعه، مما سيحيد كثيرا من العرب الشيعة في الدخول في حرب طائفية لمصلحة دولة تضطهد الشيعة.

٣ ـ أن اعتراف الدول العربية بالقضية الأحوازية وبشعبها الشيعي سيكون دليلا قاطعا على أن الدول العربية ليست دول طائفية سنية أو شيعية كما تروج إيران وأتباعها لتمزيق وحدة المجتمعات الوطنية العربية. وهذا الاعتراف سيوطد العلاقة بين أبناء الشعب الواحد خصوصا في سوريا والعراق ولبنان والمملكة العربية السعودية والبحرين والكويت واليمن وحتى تركيا.

٤ ـ أن الاعتراف بالقضية الأحوازية كقضية احتلال أجنبي سيجعل كثيرا من العرب الموالين لإيران يراجعون مواقفهم، وسيكشف زيف ادعاءات البعض خصوصا وأننا سوف نثبت للعرب

شيعة وسنة وبالوثائق الملموسة أن ممارسات الفرس ضد الشعب العربي الأحوازي لا تقل عن ممارسات إسرائيل ضد إخوتنا الفلسطينيين، وأن الفرس ينتهجون نفس سياسات الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين. بل إن الإيرانيين مارسوا سياسة التفريس بينما لم تمارس إسرائيل سياسة التهويد.

٥ - أن تدويل القضية الأحوازية سوف يجعل إيران تفقد كل أوراقها في الدول العربية ولن تعود قادرة على تهديد أحد أو التدخل بشؤون الدول العربية.

٦ - أن تدويل القضية الأحوازية سيوطد الأمن الوطني والقومي للدول العربية ولا يتطلب من العرب الدخول في حرب ضد إيران، فإسرائيل تحتل فلسطين ولم يقاتلها أحد منذ عام ١٩٧٣م، ولكن الشعب الفلسطيني استمر في المقاومة، وهكذا نحن الأحوازيين لن نكلف أحدا من إخوتنا العرب قطرة دم واحدة وسنكون قادرين على توريط الفرس مع المجتمع الدولي.

٧ - أن الاعتراف بالقضية الأحوازية سوف ينهي ادعاء إيران بفارسية الخليج العربي وإلى قيام الساعة.

١١ - هل تمتلك القضية الأحوازية مقومات تفرض نفسها كقضية إقليمية وإسلامية وقومية؟ وكيف ستفرض هذه الأبعاد؟

نحن الأحوازيين لا نمتلك مقومات قضية فقط بل نمتلك مقومات دولة قوية إقليميا وإسلاميا وعربيا، فلدينا الحق التاريخي بأرضنا التي نعرف حدودها الجغرافية جيدا، ولدينا شعب لم يرضخ ولم يشرعن وجود الاحتلال الفارسي على أرضه ليومنا هذا، والشعب الأحوازي شعب عربي في غالبيته العظمى، ومسلم ويرتبط بأمته العربية ارتباطا وثيقا، فكل القبائل العربية في الأحواز لها امتداد في أغلب الدول العربية.

والأحواز عائمة على بحر من البترول والغاز الطبيعي، ثم إن وجود شعوب غير فارسية تحيط بالدولة الإيرانية من جهاتها الأربع وتطالب بالانعتاق والتحرر يمد القضية الأحوازية بمقوم هام للغاية يدعم مقاومة الشعب الأحوازي، وكل هذه مقومات للقضية الأحوازية، وكل ما تحتاجه القضية هو الدعم المادي المدروس بشكل جيد وهو الدعم الذي يربط ولا يحل والذي يجمع ولا يشتت.

أما كيفية فرض هذه الأبعاد فهذا أمر يتعلق بالفكر السياسي الاستراتيجي الأحوازي، والأحوازيون يمتلكون وسائلهم الكفيلة بفرض قضيتهم العادلة على المجتمع الدولي من باب القانون الدولي والحفاظ على السلم والأمن الدوليين، وحق الشعوب في تقرير مصيرها ومن باب المصالح الاستراتيجية للدول التي تعتبر أن البترول بالنسبة لها مسألة حيوية تتعلق بأمنها القومي.

١٢ - هل الربيع العربي ألقى بظلاله على الداخل الإيراني وما مدى تأثر الشعوب غير الفارسية بمجريات الأحداث في المنطقة؟

إن الطبيعة العنصرية للشعب الفارسي ونظرتهم الفوقية للشعوب الأخرى خصوصا الشعوب العربية سوف يجعلهم يهربون للخلف فنحن عاشرنا هؤلاء القوم وخير من يفهم تصرفاتهم، أما بالنسبة للشعوب غير الفارسية فهي لم تتوقف منذ عقود عن مقاومة الاحتلال الفارسي، ولكن الدولة الإيرانية تكونت بقرار يرتبط بمصالح دول عظمى، وكما استطاع الفرس فرض هيمنتهم على القضية الأحوازية فإنهم فرضوا نفس الهيمنة على الشعوب الأخرى.

والشعب المعني أكثر بالربيع العربي هو الشعب الأحوازي ولذا فهو يتطلع إلى شعوب عربية قادرة على اتخاذ قرارات مصيرية حاسمة، ولكنني أعتقد أن الربيع العربي لن يحقق أي أهداف تذكر طالما الفكر السياسي العربي الذي أنتج الأحزاب السياسية المعارضة هو نفس الفكر الذي أنتج أحزاب السلطة، فالحزب في منطقتنا العربية ينشأ بمشروع سياسي يمثل توجهات الحزب، ويسعى للوصول للسلطة لكي يفرض مشروعه على

الشعب، وحتى الانتخابات النزيهة لا تغير من واقع الأمر شيئا إلا إذا تغيّر الفكر السياسي.

وتغيير الفكر السياسي يتطلب نشوء أحزاب جديدة تسعى للمشاركة في السلطة لبناء مؤسسات الدولة ويكون جل أهدافها المحافظة على سيادة القانون والدستور في الدولة، وهذا أيضا لن يكون مجديا إن لم يتغيّر مفهوم الوطنية عند الشعوب كمقياس، من (حب الوطن) إلى (حب المواطن)، فكل المستبدين كانوا يحبون أوطانهم ولكنهم لا يحبون الشعوب، وعلى مستوى الجماهير، فعندما تكون الوطنية عند المصري على سبيل المثال هي (حب مصر) فهذه الوطنية كمقياس غير قادرة على جعل السياسي يعمل على أساس مصلحة الشعب وإن عارض موقفه موقف النظام، وغير قادرة على كبح جماح رجل الأمن في إهانة مواطن مصري، وغير قادرة على جعل المواطن يحترم رجل الأمن ويحافظ على أمن بلده ومصالحه، وغير قادرة على منع المواطن الغني من أن ينظر للفقير نظرة احتقار وتكبر ويبقى مع ذلك إنسانا وطنيا لأنه يحب الوطن، وغير قادرة على جعل موظف الدولة يؤدي واجبه تجاه المواطن دون رشوة أو منّة، وغير قادرة على صناعة فكر يؤدي إلى احترام حقوق المواطنة.

نحن العرب استوردنا قشور الحزبية من الدول الغربية، فساهمنا أنظمة ومعارضة في تخلف بلداننا، ويكفي بهذا الصدد أن نذكر بقول رسول الله صلى عليه وآله وصحبه أجمعين (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، وهذا أسمى معاني الوطنية والانتماء للمجتمع.

فحين يحب العربي العربي في وطنه الصغير والكبير فسوف تتحرر فلسطين والأحواز وتعود هذه الأمة عزيزة على أهلها ومُهابة أمام المجتمع الدولي، وحينها سيكون الربيع ربيعا .

نحو الهدف..

إيران ومحاولات اختراق الإعلام المصري

بقلم: أسامة الهتيمي(*)

بات التساؤل عن حقيقة المحاولات الإيرانية لاختراق البلدان السنية، وخاصة مصر، تساؤلا ساذجا يعكس إلى أي مدى يعاني أصحابه من التعامي عن الحقائق الواضحة وضوح الشمس والتي تتكشف يوما بعد يوم في ظل الزخم المعلوماتي عن التحركات الإيرانية على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتي ترفع شعارات زائفة عن التقارب والوحدة الإسلامية مع البلدان العربية والإسلامية إذ هي لا تعدو عن كونها الوجه الجميل لمخطط يستهدف بالأساس إنفاذ المشروع الإيراني الشيعي التوسعي في المنطقة والذي رأت إيران أن تحقيقه لن يتم إلا بإحداث شق في الصف السني يضعف من مقاومته ويخفف من حدة مواجهته لها ولمخططاتها.

وإن كان لنا من حق لتقييم محاولات الاختراق الإيراني الشيعي لمصر فإننا نستطيع أن نقول إن هذه المحاولات نجحت وإلى حد كبير في تحقيق خطوات مهمة وخطيرة، فهي على المستوى السياسي استطاعت أن تستقطب عددا لا بأس به من الرموز السياسية الذين كان من بينهم من خاض معركة المنافسة على كرسي الرئاسة المصرية وسط معلومات كثيرة تناقلتها الأوساط الإعلامية والسياسية عن تلقيهم لأموال إيرانية لدعم حملاتهم الانتخابية التي كلفت الملايين من الجنيهات.

كما استمالت إيران عددا من الأحزاب والقوى السياسية التي أعلن بعضها صراحة أنها

(*) كاتب مصري.

أحزاب شيعية يقوم على تأسيسها وقيادتها شخصيات شيعية في حين تبنى بعضها الآخر موقف الدفاع عن إيران والتبرير لسلوكها.

كذلك تمكنت الدولة الإيرانية من أن تقنع القائمين على اتخاذ القرار المصري بأهمية التقدم نحو ما يسمى بالتقارب معها وتجاوز مرحلة الخلاف بين البلدين بدعوى أنها كانت نتاج سياسات النظام المصري السابق بقيادة المخلوع حسني مبارك والذي كان في جلّ سياساته وتحركاته رهينة للضغوط والإملاءات الأمريكية.

أما على المستوى الاقتصادي فقد استطاعت طهران أيضا أن توهم الإدارة المصرية الجديدة بأنها يمكن أن تكون خير عوض وبديل للوقوف بجانبها ودعمها بعد أن تخلت عنها بعض القوى العربية والإقليمية التي لم يكن يسرها إسقاط النظام المصري وتولي الإسلاميين للحكم فسارعت إلى اقتراح فتح الباب أمام السياحة الإيرانية لمصر بعد أن استفاضت في الحديث عن مدى ما يمكن أن تساهم به السياحة الإيرانية في إنعاش الاقتصاد المصري وزيادة دخول العملات الصعبة فضلا عن أنها ستكون التعبير الجيد عن مدى شوق الشعب الإيراني للتعرف على مصر وحضارتها وتوثيق علاقة الشعبين بعضهما ببعض وهي مسألة لم يعد خافيا على أي مراقب أو عاقل مدى خطورتها باعتبارها الطريق الأسهل لنشر المذهب الشيعي بين المصريين.

وحتى تكتمل منظومة الاختراق الإيراني لمصر فإنها وانطلاقا من إدراكها لأهمية الإعلام في تكوين الرأي العام وتسهيل عملية الاختراق الإجمالية حرصت على أن تكون المؤسسات الإعلامية في مرمى الاستهداف فجاهدت في أن تستقطب عددا من الإعلاميين العاملين في الوسائل الإعلامية المتعددة (فضائيات – صحف– مواقع إنترنت) وذلك لدعم الموقف السياسي الإيراني الذي وكما أكدنا مرارا وتكرارا في مقالات سابقة عدة هو الأهم لدى طهران.

واستغلت إيران كالعديد من البلدان– الاصدقاء والأعداء - حالة السيولة السياسية والأمنية أو بالأحرى حالة الفوضى التي تعيشها البلاد منذ اندلاع ثورة الخامس والعشرين من يناير في أن تكثف من التواصل مع فئة الإعلاميين من مختلف التيارت والانتماءات السياسية والفكرية، فما يشغلها بالأساس هو إيجاد طابور إعلامي داعم لها بغض النظر عن وجهات نظر هؤلاء الإعلاميين ورؤاهم حول الإسلام بمعناه السياسي والحضاري إذ الكثير منهم أصلا من العلمانيين المتطرفين الذين يرفضون إقامة حكم إسلامي.

استخلاص المواقف الداعمة لإيران

وفي هذا الصدد يقول محمد محسن أبو النور الباحث المصري في العلاقات المصرية– الإيرانية إنه ومنذ نجاح ثورة ٢٥ يناير٢٠١١ م في إسقاط مبارك، والدولة الإيرانية تسعى إلى توثيق علاقتها بعدد من الإعلاميين المصريين البارزين وذلك بهدف استخلاص مواقف داعمة ومؤيدة للتحركات الإيرانية بل ومدافعة أحيانا عن سياساتها التي غالبا ما تثير لغطا وحساسيات لدى الأنظمة والشعوب العربية.

وأضاف أبو النور أن من بين هؤلاء الإعلاميين المصريين الكاتب الصحفي والإعلامي وائل الإبراشي، رئيس تحرير صحيفة الصباح، وصاحب برنامج العاشرة مساء على قناة دريم ٢، والمقدم السابق لبرنامج الحقيقة، الذي كان يذاع على قناة دريم٢ أيضا، مشيرا إلى أنه كان من المعلوم لدى المتابعين لبرامج الإبراشي الحالية والسابقة ذلك الانحياز في مواقفه للدولة الإيرانية وسياساتها.

وأوضح أبو النور أن الإبراشي هو من قدم تلك الحلقة الخاصة من برنامج الحقيقة عن زواج «ملك اليمين» التي أثارت جدلا كبيرا في الشارع المصري والتي قدم فيها الإبراشي بطلها المدعو المهندس عبد الرؤوف عون باعتباره داعية ومفكرا إسلاميا وأنه واحد من آل بيت النبي محمد ﷺ.

أما برنامج العاشرة مساء فالشواهد التي تؤكد انحياز الإبراشي لإيران خلاله أكبر من أن تحصى

لكن لا يمكن غض الطرف عن تلك الحلقة التي خصصها الإبراشي للدفاع عن إيران وتبرئة ساحتها من محاولة اغتيال السفير السعودي في الولايات المتحدة الأمريكية «عادل الجبير» وهو الأمر الذي يؤكد صحة ما ذهبنا إليه خاصة وأن محكمة أمريكية في منهاتن بنيويورك أصدرت مؤخرا حكما بالسجن لمدة ٢٥ عاما على الأمريكي منصور أرباب سيار الإيراني الأصل بعد إدانته بالتآمر لتنفيذ العملية بالتعاون مع المخابرات الإيرانية.

ويقول أبو النور إن إيران حرصت أيضا على أن توثق علاقتها وتتواصل مع ما يسمى بوكالات وشركات البث المباشر والتي تقوم بإعداد وتقديم مواد تلفزيونية كخدمة إعلامية لبعض القنوات الفضائية التي ليس لها مكاتب خاصة في القاهرة، وكان من أبرز هذه الشركات «الشركة المصرية للإعلام «التي يقع مكتبها وسط العاصمة المصرية القاهرة وبجوار مسجد الدكتور مصطفى محمود بحي المهندسين مشيرا إلى أن هذه الشركة تعود ملكيتها للإعلامي خالد السيوفي وهو نجل الكاتب والصحفي المصري أحمد السيوفي مدير مكتب قناة العالم الإيرانية في مصر.

وأضاف أبو النور أن المخابرات المصرية قامت العام الماضي باعتقال خالد السيوفي مدير الشركة بتهمة بث برامج على الهواء بدون ترخيص حيث أمدت الشركة عشرات القنوات الشيعية في الخليج بمواد تلفزيونية دون أن تحصل على إذن من الهيئات المختصة ببث هذه المواد.

وأوضح أن من بين الشركات أيضا شركة « فيديو كايرو سات» وهي شركة بارزة تعود ملكيتها إلى المهندس محمد جوهر صاحب قناة٢٥ وقد تم استقطابها عن طريق إرسال تعاقدات بينها وبين قنوات شيعية في العراق من بينها مثلا قناتي (الاتجاه والزوراء) وهي قنوات تقدم مبالغ مالية كبيرة في مقابل الخدمات الإعلامية التي تقدمها الشركة والتي من بينها مظاهر دعائية لهذه القنوات كأن تشارك الشركة في المؤتمرات الصحفية التي يعقدها المسئولون المصريون سواء من السلطة أو من المعارضة حيث تظهر العشرات من «مايكات» هذه القنوات أمام المسئولين.

ويكشف الباحث المصري أبو النور عن أنه وفي أعقاب ثورة يناير انتشر ما عرف بـ «موسم الحج إلى طهران» حيث يتم تنظيم رحلات سفر لنحو ٣٠ أو ٤٠ إعلاميا مصريا وإعلامية إلى طهران كل أسبوع أو أسبوعين حيث تقوم هيئات إيرانية بتنظيم برنامج خاص لهؤلاء الإعلاميين للتعرف على إيران خلال فترة الزيارة.

ويلفت أبو النور إلى أن خطورة هذه الرحلات تتمثل في أنها محاولات لاستخلاص مواقف متضامنة مع إيران إذ أن الإعلاميين والصحفيين بشكل لا إرادي يتعاطفون مع الدولة الإيرانية نتيجة حالة الإبهار التي تتابعهم مما يشاهدونه حيث لا يرون إلا كل ما هو جميل ومنظم في إيران وهو بالطبع أمر متعمد فليس للإعلامي أو للصحفي حق التنقل بحرية كاملة، وفي حال رغب في التنقل بمفرده يكون في صحبته أحد رجال الاستخبارات الإيرانية.

وقال أبو النور: «إن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد بل إن بعضا من الإعلاميين الذين سافروا إلى إيران عاد وقد تشيع وهم عدد ليس بالقليل»، مشيرا إلى أن هؤلاء المتشعين لا يعلنون عن تشيعهم إلا في أوساط ضيقة انطلاقا من مبدأ التقية مؤكدا أنه يعرف بعضهم غير أن الإفصاح عن أسمائهم ربما يؤثر في علاقته بهم.

وأورد أبو النور بعض أسماء الشخصيات والهيئات القائمة على تنظيم رحلات الإعلاميين لطهران فذكر منهم الكاتب والصحفي طارق السنوسي الذي اعتبره الأبرز في هذه المسألة وهو رئيس القسم الدبلوماسي بصحيفة الأهرام المسائي الصادرة عن مؤسسات الأهرام للطباعة والنشر ومنهم أيضا الباحث المصري أحمد عبد الرحمن والدبلوماسي الإيراني توفيق حمدي الذي قام

بتنسيق آخر وفد إعلامي سافر لطهران.

وأضاف أبو النور أن الإعلاميين والصحفيين المشاركين في هذه الوفود ينتمون إلى صحف وفضائيات متنوعة وليست محصورة في اتجاه بعينه مشيرا إلى أن المستغرب في الأمر أن أغلب المشاركين هم من يتصلون بالمنسقين لهذه الرحلات لإدراج أسمائهم ضمن الوفود.

وأوضح أن هناك عدة معايير لمشاركة الإعلاميين في السفر ومنها أن لا يكون هذا الإعلامي ضد تطور العلاقات المصرية - الإيرانية وأن لا يكونوا صحفيين ذوي شخصية فكرية قوية وهو المعيار الذي يشددون عليه منذ أن قامت إحدى المشاركات وهي الصحفية والإعلامية نشوى الحوفي بانتقاد الرئيس أحمدي نجاد علنا في شهر مايو ٢٠١١م وهو ما أزعجهم بشدة ودفعهم للتشديد على معايير الاختيار.

وقال أبو النور إن من الاحتياطات الأمنية التي تجريها السفارة الإيرانية في سفر الوفود الإعلامية هو الاتصال بالإعلامي المشارك قبل سفره بيوم أو بيومين لإعداد نفسه للسفر حيث يتجمع المسافرون أمام مقر السفارة أو مقر القائم بأعمال السفير في القاهرة للانطلاق بعد ذلك للمطار لاستقلال الطائرة التي إما أنها تتوجه إلى دبي أو مسقط أو أنقرة ثم إلى طهران.

وحول الجانب المادي في الرحلة يؤكد أبو النور أن المشارك لا يتكفل بأي شيء في رحلته فالرحلة يتحمل نفقاتها بالكامل الدولة الإيرانية وذلك عن طريق ما يسمى بدار التقريب بين المذاهب، الأمر الذي يحمل معنى ومغزى بعينه.

ويوضح أبو النور أن أغلب الوفود تقيم في فندق آزادي (الحرية) في طهران وهو فندق تحيطه حراسة مشددة تمنع المشاركين من التنقل بمفردهم دون مصاحبة إحدى الشخصيات الأمنية فالهدف هو تكوين انطباع لدى المشارك أن إيران بلد الحرية والانفتاح الحضاري والتقدم العلمي.

وكشف أبو النور عن أن عدد الإعلاميين الذين سافروا لإيران منذ الثورة وحتى الآن بلغوا تقريبا نحو ٥٠٠ إعلامي لم يتم التحقيق أمنيا مع أحدهم على الرغم من أنه وقبل الثورة كان يقوم جهاز أمن الدولة ووحدة مكافحة التجسس بالتحقيق مع كل من يسافر إلى إيران قبل سفره وبعد عودته.

استقطاب الأحزاب والشخصيات الإعلامية

كذلك فقد كان من خطط إيران اختراق الأحزاب السياسية التي ادعى بعضها أن يستند إلى مرجعية إسلامية في حين كان لبعضها الآخر توجهات فكرية وسياسية مخالفة لذلك وكان في هذا الاستقطاب المتنوع مخطط إيراني لضرب عصفورين بحجر واحد فالهدف الأول هو تكوين رأي عام سياسي يتضامن مع التحركات الإيرانية ويبرر أمام الجماهير المصرية بعض سياساتها المتعارضة مع المصلحة الوطنية والعربية والإسلامية فيما الهدف الثاني هو اختراق الصحف التي تصدرها هذه الأحزاب حيث لبعضها تاثير بالفعل في التوجيه السياسي الذي إن لم يكن على المستوى العام فسيكون على أقل تقدير على مستوى المنتمين والمناصرين لهذا الحزب أو ذاك.

وقد وضح هذا الدور الإيراني جليا في كل من حزبي العمل – جناح مجدي أحمد حسين – والحزب الناصري فكلاهما وعلى الرغم من إعلانهما تبنيهما للفكر القومي إلا أن موقف الحزبين لم يخرج عن دائرة دعم إيران والدفاع عنها على الرغم من تعارض الكثير من هذه السياسات مع قضايا عربية وإسلامية بحتة.

وقد كان لهذه المواقف الداعمة – ربما – بعض القبول لدى قطاعات شعبية انطلاقا من كون إيران تمثل لهم قائدة ما يسمى بمحور الممانعة الذي يناهض الإمبريالية الأمريكية والصهيونية فضلا عن كونها الداعم المالي والسياسي لحزب الله اللبناني الذي نجح في خداع الكثيرين بادعائه أنه رمز للمقاومة وحائط الصد ضد الأطاع الصهيونية.

لكن وقد تكشف الوجه الحقيقي لإيران بعد التدخل السافر لها ولعناصرها ضد ثورة الشعب

السوري وقيامها بالمشاركة مع قوات وشبيحة نظام بشار الأسد في قتل وطرد السوريين، وبعد أن افتضح الوجه الحقيقي لحزب الله وقائده حسن نصر الله حيث حول الحزب المقاوم سلاحه إلى صدور السوريين فلم يعد هناك من يمكن له أن يتعاطف مع هذه التوجهات أو أن يرى لها ما يبررها وهو ما أضعف – بفضل الله – حجة هؤلاء وموقفهم وباتوا يعرف بعضهم أنهم رجال إيران.

ويكفينا في هذا السياق أن نشير إلى تلك الحملة الصحفية التي قادتها جريدة الشعب الجديد – لسان حال حزب العمل الجديد والتي دافعت فيها باستماته عن فتح باب السياحة الإيرانية في مصر حيث ركزت على الجوانب الاقتصادية الإيجابية التي يمكن أن تعود على البلاد من جرائها فيما غضت الطرف عن كل السلبيات التي حذر منها خبراء السياسة وعلماء الدين فضلا عن تحذيرات الاقتصاديين أيضا.

وعلى نفس المستوى كان تحرك إيران على بعض الشخصيات الإعلامية التي يبدو أنها انبهرت بالنموذج الإيراني في البناء والتنمية رغم المشكلات والعقبات التي تواجهها باعتبارها بلدا يعيش حالة من الصراع مع الغرب على المصالح ومد النفوذ وهو ما جسده بوضوح الكاتب الصحفي فهمي هويدي والذي بدا للجميع من خلال كل ما كتبه عن إيران أنه متعاطف معها لاقصى درجة.

ويكفينا مثلا أن نورد موقف هويدي من المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس الإيراني أحمدي نجاد خلال زيارته لمقر مشيخة الأزهر الشريف إذ أعرب هويدي عن استيائه من تعرض نجاد للعديد من الأسئلة حول عدد من القضايا التي رآها هويدي أنها محرجة للرجل.

وقال هويدي بالحرف الواحد: «ربما كانت بعض تلك الأسئلة صحيحة وواجبة الطرح، لكنها وجهت إلى الرجل غير المناسب وبأسلوب غير مناسب، وفي المكان غير المناسب، ذلك أنه لم يكن من حسن التقدير أن تُلقى كلها في وجه الرجل، الذي لم يقل أحد إنه مرجع دين يتحدث في شأن الصحابة وعملية التشييع».

وأضاف:» وإذا كانت هناك ملاحظات أو تحفظات على سياسة دولة الضيف فإنها تقال في الاجتماعات والحوارات بين الطرفين، ولا تبث هكذا على الهواء، وهو موقف لا يعبّر عن مودّة أو رغبة في التواصل ومد الجسور، وقد بدا أن إشهارها بتلك الطريقة ليس مقصودا به حل أي مشكلة، وإنما الهدف منه هو تسجيل المواقف وإحراج الرجل والتعريض به وبدولته ... من جانبي استهجنت المشهد، وقلت إن الأسئلة التي طرحت لا تعبر فقط عن هواجس وقلق من جانب مؤسسة الأزهر أو حتى من جانب السلفيين. ولكنها تعبر أيضا عن موقف سياسي ينطلق من التقاطع وليس التوافق. وكان ذلك أوضح ما يكون فيما أثير حول عرب الأهواز (أغلبهم من الشيعة)، الذين إذا افترضنا أن لهم مشكلات مع حكومة طهران، فإن ذلك لا يبرر تدخل الأزهر في الموضوع».

وواضح جدا من كلمات هويدي أن أمر إحراج نجاد بمحاصرته ببعض الأسئلة التي قرر هو نفسه بأن بعضها صحيح قد أصابه بالضيق وأن الأصل في المسالة أننا كان يجب أو بالأحرى كان يجب على الصحفيين الذين شاركوا في المؤتمر الصحفي أن يعبروا عن ودهم وترحيبهم بالرجل.

والحقيقة أن موقف هويدي هو الذي يثير الامتعاض إذ كيف كان يمكن تمرير زيارة نجاد للأزهر الشريف دون أن تطرح عليه هذه القضايا وأن تصله رسالة قوية مفادها أنه يشارك في مأساة ومعاناة المسلمين الذين يدعي وهو وبلاده أنهم منحازون لقضاياهم ومدافعون عنها.

الإنتاج الفكري العراقي في مواجهة التشيع (٣)

سعيد بن حازم السويدي(*) – خاص بالراصد

كُتّاب الاتجاه القومي

لم يكن التصدي للفرق المبتدعة من اهتمامات التيار القومي إذ أنه أسقط من حساباته أي اعتبار للاختلافات والفوارق الدينية، وجعل ذلك سبيلاً لتجنب السجالات المذهبية والفتن الطائفية، وقدّم الفكرة القومية كمشروع للوحدة، ووصْفة لجمع الصف وتوحيد الشعوب العربية على اختلاف طوائفها وانتماءاتها الدينية والمذهبية.

والفكرة القومية الهشة لم تستند إلى أدلة علمية ولم تخرج من رحم الواقع والضرورة، وإنما صاغتها أذهان معادية للإسلام والعروبة، وأنعشتها أجواء الهزيمة التي أفسحت المجال لأي وصفة للإنقاذ وانتشال العرب من ذل الهزيمة والتبعية.

ولذلك لم تصمد الفكرة القومية في ميدان المواجهة مع الفكرة الدينية، وانتصرت الأقليات الدينية (النصرانية والشيعية والدرزية والعلوية) في معاركها مع الجمهور السني الذي يحمل قادته الفكرة القومية، فسقطت الأرض العربية بيد الأقليات وأصبحت مرتعاً لميلشياتهم وتحالفاتهم الإقليمية والدولية على حساب الدين والوطن والشعب.

وقد شهد العراق خلال القرن الماضي واحداً من أعنف الصراعات والمواجهات بين أنصار الفكرة القومية (حزب البعث) والفكرة الدينية (التشيع بقيادة الخميني) حينها وجد البعثيون أنفسهم أمام واقع يُبطل نظرياتهم ومبادءهم الفكرية، ورأوا أنه لا بد من مواجهة مع الفكر الشيعي العدواني، فاتخذوا لذلك منهجاً يتناسب مع أصولهم الفكرية.

لقد عبث القوميون بمشهد الصراع بين الإسلام والتشيع فصوروه بأنه معركة بين العرب والفرس (على الصعيد السياسي) وبين العروبة والشعوبية (على الصعيد الثقافي في الحضاري) وبين الإسلام وحركات الزندقة الباطنية (على المستوى الديني)، وبهذا تجنب القوميون أي صدام مع الشيعة الإمامية وعقائدهم التي كانت المحرّك الأول لعدوان الخميني على العراق.

ولعل هذا التصوير المشوه، والعبث التضليلي أبقى عقائد التشيع بمنأى عن النقد والذم والفضح؛ فبقيت عورة الشيعة المتمثلة بمذهبهم مستورة عن شعوب المنطقة حتى احتلال العراق عام ٢٠٠٣.

لقد أشاع البعثيون القول بأن العدوان الخميني كان محض «أطماع سياسية وأحلام تاريخية ونزعة توسعية عند حكام إيران»، وهو تحريف للحقيقة بكتم الجزء الأكبر منها وحجب الجانب المؤثر فيها وهو البعد الديني العقائدي.

احتمى القوميون البعثيون بآراء وتحليلات - مدفوعة ومرفوضة ومردودة عقلاً ونقلاً وواقعاً- ، من أجل تفسير العدوان الشيعي، منها القول بالتفريق بين التشيع العلوي العربي والتشيع الصفوي الفارسي، وهو فرق محدث مبتدع ترده الثوابت الدينية والحقائق التاريخية والمعطيات الواقعية.

ساهم البعثيون في إنقاذ سمعة التشيع، وجعلوه في موقع «الضحية لأطماع الفرس والشعوبيين» بدلاً من تحميله مسؤولية الحرب على شعب العراق.

لم يُسلّم الفكر القومي بحقائق الحرب الدينية التي يشنها الخميني على «العراق العربي السني» فأخذ يلوي عنق الواقع ويطوعه وفقاً لنظرياته فاختزل التشيع ببعض فرقه الغالية كالقرامطة والنصيرية والإسماعيلية، كما أفرط في الحديث عن الشعوبية على حساب العقائد الشيعية، كما بالغ في تضخيم الأطماع القومية الساسانية وأغفل ذكر الأطماع التوسعية للديانة الشيعية.

تحفل المكتبة العراقية بالعديد من المؤلفات المنتمية لهذا الاتجاه، نذكر منها:

(*) كاتب عراقي.

١- مؤلفات المؤرخ فاروق عمر فوزي

وهو من مواليد الموصل عام ١٩٣٨، حصل على الدكتوراة من جامعة لندن عام ١٩٦٧، وأصبح رئيسا لقسم التاريخ في جامعة بغداد (١٩٧٨-١٩٨٠)، وله العديد من الأبحاث والدراسات التاريخية، ومن مؤلفاته:

١- «الخمينية وصِلتها بحركات الغلو الفارسي والإرث الباطني»، المؤتمر الإسلامي الشعبي، بغداد ١٩٨٨.

٢- «حكام بلاد فارس والعدوان على العراق خلال العصر العباسي»، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٨.

٣- الفكر العربي في مجابهة الشعوبية: عصر الخلافة العربية الإسلامية، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٨.

٤- العراق والتحدي الفارسي، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٧.

٢- مؤلفات الدكتور عبد الله سلوم السامرائي

مثقف متحمس لنشر أفكار حزب البعث، أرسى قواعد الحزب في مدينة «حديثة» ثم انتقل إلى «الرمادي» ثم إلى «سامراء»، عُيّن وزيراً للإرشاد والثقافة في أول حكومة تشكلت بعد الانقلاب على عبد الكريم قاسم، اختلف مع صدام حسين فسُجن ثم عُفي عنه، وفي أيامه الأخيرة تحول إلى باحث إسلامي فألف جملة كتب أشهرها (الشعوبية)، توفي في بغداد عام ١٩٩٣[1]، ومن مؤلفاته:

١- الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، بغداد ١٩٨٤.

٢- القاديانية والاستعمار الإنكليزي، دار واسط، بغداد.

٣- الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، دار واسط، بغداد ١٩٩٠.

ومن المؤلفات التي تناولت التشيع من وجهة نظر قومية، أو عروبية (قومية إسلامية):

١- أضواء على حركات التسلل الشعوبي لأحمد محمد المختار (مكتبة بسام، الموصل، ١٩٨٥).

٢- المدارس اليهودية والإيرانية في العراق، فاضل البراك.

٣- التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي، لمحمد البُنداري، وهو اسم مستعار للدكتور بشار عواد معروف.

ومن الدراسات التي تعرضت للشعوبية والحركة الباطنية عرضاً ونقداً:

١- الجذور التاريخية للشعوبية، عبد العزيز الدوري.

٢- «في الظاهرة الخمينية» جاسم العربي، دار القادسية بغداد، ١٩٨٣.

٣- الشعوبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة الإسلامية، حسن حميد الغرباوي[2]، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٣.

٤- التسلل الباطني في العراق في القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري، مكي خليل حمود.

٥- المقاومة العربية للتسلط البويهي في العراق والجزيرة الفراتية، طالب جاسم حسن.

٦- المنهج المعتزلي في الرد على الشعوبية:

---

(١) مذكرات عدنان الدليمي (آخر المطاف)، ص ٦٣ هامش (١)، دار المأمون، الأردن.

(٢) للأستاذ الغرباوي دراسة نقدية لمذهب الشيعة في العصمة تعرض لها في كتابه (العصمة في الفكر الاسلامي)، المنشور في دمشق ١٤٢٨ هـ.

الوسائل والأساليب، ميعاد إسماعيل هادي.

وتجدر الإشارة إلى أنه خلال فترة الحرب العراقية الإيرانية شهدت بغداد عدة ندوات فكرية لمواجهة الخطر الشيعي منها:

- مخاطر الخمينية على الأمة وعقيدتها، ٢٨ أيار ١٩٨٨.
- «النصيرية حركة هدمية»، كلية الشريعة في جامعة بغداد ٢٣- ١٩٨٥/١٢/٢٤.
- «الخمينية حركة معادية للإسلام والعروبة» عام ١٩٨٨.
- الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، كانون أول ١٩٨٩.

الجهود العلمية للإسلاميين المعاصرين

لن نبالغ إذا قررنا أن الباحثين الإسلاميين في العراق لاسيما خلال العقود الأخيرة (١٩٨٠-٢٠١٣)، تمكنوا من إنشاء مكتبة متكاملة في التشيع: حقيقته العقدية والرد على شبهاته ومزاعمه، وبعضها اعتنى بدراسة الواقع الشيعي المعاصر، وبعضها عالج أفكار وآراء خاطئة سادت وشاعت وساهمت في حجب الصورة الحقيقية للتشيع، وقد اقتضت الظروف الأمنية أن يتخذ بعض الباحثين أسماء مستعارة.

ولم يكن هذا الإنتاج الغزير على حساب الكفاءة والجودة العلمية، بل إن ما كتبه العراقيون في هذا الشأن يعد في القوة والمتانة بمثابة مؤلفات المغاربة في علم مقاصد الشريعة، فهم أعرف الناس وأخبرهم بالتشيع، فما صدر عنهم خرج عن علم ودراية وتجربة، تعززت بالحاجة والضرورة والقيام بالواجب الشرعي في جهاد المبتدعة والدفاع عن ثوابت الدين، ومن هؤلاء الفرسان:

١- **الدكتور طه حامد الدليمي**، من الأسماء البارزة في ميدان الرد على الشيعة، والعناية بالقضية السنية العراقية، وهو متخص بنقد ونقض أصول المذهب الجعفري وفهم نفسية الفرد الشيعي، ومن أبرز آثاره المطبوعة:

- المنهج القرآنيّ الفاصل بين أصول الحقّ وأصول الباطل.
- التشيّع عقيدة دينيّة أم عُقدة نفسيّة؟
- أسطورة المذهب الجعفريّ.
- إمامة الصدّيق
- التّوحيد والشّرك في ضوء القرآن الكريم.
- الإمامة في منظور القرآن الكريم.
- العصمة في منظور القرآن الكريم.
- عصمة الأنبياء عليهم السّلام.
- الصّحابة بين ميزانين.
- القرآن وعليّ والصّحابة.
- آية الولاية وعلاقتها بالإمامة.
- آية المودّة وعلاقتها بالإمامة.
- آية ابتلاء إبراهيم (عليه السّلام) وعلاقتها بالإمامة.
- آية التّطهير وعلاقتها بعصمة الأئمّة.

ومن جهوده المتعلقة بقضية أهل السنة في العراق وتوثيق محنتهم:

- هذه هي الحقيقة: الأعداد والنّسب السكّانيّة لأهل السنّة والشّيعة في العراق.
- البادئون بالعدوان.
- يوميات قضيّة
- غربان الخراب في وادي الرّافدين

أما ردوده على كتب الشيعة، فنذكر منها:

- هذا هو «الكافي».
- نظرة في «نهج البلاغة».
- العلويّ وكتابه «عمر والتشيّع».

٢- **الأستاذ علاء الدين البصير**، أحد الباحثين المتميزين بسعة الاطلاع على كتب الشيعة، من مؤلفاته:

- ابن سبأ: الشبح المخيف للفكر الجعفري ومرتضى العسكري.

- الشهادة الثالثة في الأذان حقيقة أم افتراء.
- أسطورة الخطبة الشقشقية.
- الرد الكافي على نجاح الشافي في كتابه (صاحب الغار: أبو بكر أم رجل آخر).
- جعفر السبحاني، كذاب مخرب أم محقق مقرب.
- أسطورة النص الجلي على إمامة علي.

٣- **الأستاذ عبد الملك الشافعي**، باحث له العديد من المشاركات والمساهمات الحميدة في هذا الشأن، لا سيما نقد فكرة التقريب وتسليط الضوء على الفكر التكفيري عند الإمامية، من مؤلفاته:

- إمامة الشيعة توجب الإعتقاد بالتحريف.
- إمامة الشيعة دعوة باطنية لاستمرار النبوة.
- هذا هو التشيع بلسان الخوئي.
- الفكر التكفيري عند الشيعة.. حقيقة أم افتراء؟!
- موقف الشيعة الإمامية من باقي فرق المسلمين.
- طهارة المسلمين عند الشيعة بين إشراقة الظاهر وبشاعة الباطن.
- زيف دعاوى الشيعة للتقريب .. جعفر السبحاني أنموذجاً.
- التشيع مذهب إسلامي أم تنظيم سياسي؟

٤- **الدكتور مجيد الخليفة**، ومن أهم الكتب التي حققها:

- السيوف المشرقة، مختصر الصواقع المحرقة لأبي المعالي الألوسي.
- شم العوارض في ذم الروافض، لملا علي القاري.
- المنحة الإلهية، تلخيص ترجمة التحفة الإثني عشرية للألوسي.
- نهج السلامة إلى مباحث الإمامة، لأبي الثناء الألوسي صاحب التفسير.

٥- **أبو مريم بن محمد الأعظمي**، له رد نفيس على كتاب المراجعات للموسوي، باسم بـ(الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات)، والذي يعد من أقوى الردود العلمية على كتاب الموسوي.

٦- **عبد العزيز بن صالح المحمود**، باحث ومحقق متخصص في التراث، تميزت مساهماته بطابع علمي توعوي يهدف إلى إحياء تراث الأمة وبيان جهود الأئمة في التصدي للتشيع، من أبحاثه ومؤلفاته:

- «جهود علماء العراق في الرد على الشيعة».
- «عودة الصفويين»، والذي فضح فيه الهجمة الشيعية المعاصرة باعتبارها تكراراً لحروب الصفويين على الشعوب الإسلامية.

وله جهود في العناية بتراث العلماء وخاصة من العراق في الرد على الشيعة، نشر منها:

- النكت الشنيعة في بيان الخلاف بين الله تعالى والشيعة، للعلامة البغدادي إبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري.
- الرد على الرافضة، للعلامة اللغوي مجد الدين الفيروزأبادي.
- الأجوبة البندنيجية على الأسئلة اللاهورية، لأبي الهدى البندنيجي.
- سعادة الدارين في شرح حديث الثقلين، للعلامة الهندي عبد العزيز الدهلوي، بترجمة وعناية العلامة الألوسي.
- الروض الرائض في عدم صحة نكاح أهل السنة للروافض، لمفتي الشام علي المرادي.
- الاعتقاد في الصحابة وبيان فرق الشيعة ومشابهتهم لليهود، للإمام الزاهد عبد القادر الجيلاني البغدادي.

وقد نشرت له مجلة الراصد عدة مقالات فكرية منها:

- جهود المحقق حمدي السلفي في مقاومة

التشيع في العراق.

- صفحات من تاريخ المقاومة الشعبية للتشيع في العراق.
- حصار العراق وغزة .. بوابة للتشيع.
- تنوع أعداء الأمة وتعدد الجبهات .. إيران والتشيع نموذجاً.
- التصوف والتشيع، عبد القادر الجيلاني نموذجاً.
- ما لا يسع المسلم جهله في قضية الاعتداء على الصديقة عائشة.
- نسب السنة والشيعة في العراق بين افتراءات اليهود والانكليز.

٧- **وليد بن عبد الكريم الأعظمي**، الشاعر الإسلامي المعروف بشاعر الإخوان في العراق، وله في هذا الميدان:

- الخمينية وريثة الحركات الحاقدة والأفكار الفاسدة، دار عمار، عمان ١٩٨٨.
- السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب «الأغاني»، كشف فيه شعوبية أبي الفرج الأصفهاني.

٨- **جلال الدين الحنفي البغدادي**، العلامة الموسوعي والمحقق المتخصص بالتراث، وله:

- الزواج الدائم: رد على كتاب منافع الزواج المؤقت، بغداد ١٩٦٧م.
- وله مساجلات مع الشيخ الخالصي نشرت في بغداد عام ١٩٥٣م، ولعل أصلها مقالات في «جريدة السجل» لصاحبها طه الفياض العاني رحمه الله.

٩- **ناصح عبد الرحمن أمين**، ولا نعرف شيئاً عنه سوى أنه أحد ضحايا فيلق بدر، وقد ذُكر أن الشيعة اغتالوا باحثاً سلفياً متخصصاً في الرد على الشيعة يدعى محمد عودة، بعد الاحتلال بفترة وجيزة، لم يصلنا من آثار هذا الباحث المغدور سوى كتابه «إسراء مع الإمام الثاني عشر»، نشرته دار الرضوان المصرية عام ٢٠٠٥.

١٠- **محمد أحمد الراشد**، وهو الاسم المستعار للمفكر عبد المنعم صالح العزي أحد قيادات الإخوان في العراق، وكتابه «دفاعاً عن أبي هريرة» شاهد على قوته العلمية.

١١- **الدكتور سعدي مهدي صالح الهاشمي**، أستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، أشرف على كثير من الرسائل الجامعية المتعلقة بالعقائد الشيعية، وله:

- الرواة الذين تأثروا بابن سبأ، نُشر عام ١٩٨٩.
- دراسة بعنوان «ابن سبأ: حقيقة لا خيال» نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية العدد (٦٠).

١٢- **الدكتور يوسف طارق السامرائي**، له دراسة «الإيهام: قراءة في منهجية (الأغاني) و(مروج الذهب)».

١٣- **عبد الرحمن الدولة**، باحث من الموصل له (هذه هي المتعة فاحذروها).

مسلمو نيجيريا.. من مخالب الفقر إلى أنياب التشيع

معتز بالله محمد(*)– خاص بالراصد

أثرت عوامل عدة في نشر التشيع في القارة السمراء، فبعد عام ١٩٧٩ الذي شهد نجاح الثورة الخمينية في إيران عمدت طهران إلى استغلال الظروف الخاصة للقارة في نشر التشيع مستفيدة من حقيقة أن الشخصية الإفريقية السمراء تربة خصبة لنشر أية أفكار، فهي شخصية سهلة الانقياد، تقبل أي فكرة طالما كان هناك من يدعو لها.

وتعد نيجيريا من أكثر الدول الإفريقية التي غزاها الزحف الشيعي ونجح في ظل غياب دور

(*) كاتبة مصرية.

إسلامي سني فعال في كسب قطاع واسع من السُنة المالكية إلى التشيع.

لكن من الخطأ تحميل الشخصية الإفريقية وحدها المسئولية عن انتشار التشيع في بلدان القارة، حيث يفسح الفقر والجهل اللذان تعاني منهما إفريقيا المجال أمام النشاط الدعوي الشيعي القائم على منظومة متكاملة من العمل (الخيري) الطبي، والتعليمي.

«بوكو حرام»

وبالنسبة لنيجيريا أكبر دول القارة سكانا وعدداً للمسلمين، فقد لعب نشاط حركة «بوكو حرام» السنية المتشددة دورا كبيرا في انتشار التشيع، سواء من خلال صرف نظر الدولة عن النشاطات الشيعية في ظل انشغال السلطات بقتال الجماعة السنية ومداهمة معاقلها، وهو ما أعطى حركة التشيع مساحة أكبر من الحرية لإدارة نشاطاتها، أو عبر استغلال القيادات الشيعية التفجيرات التي تنفذها الجماعة والحرب الأهلية بين المسلمين والمسيحيين في تنفير المسلمين من المذهب السني، وهو ما أكده إبراهيم الزاكزاكي أحد أبرز الرموز الشيعية في نيجيريا في حوار مع صحيفة «الدار» الكويتية، حيث قال إن «إحدى الحركات المتطرفة خدمت الشيعة وساهمت في انتشار التشيع في نيجيريا أكثر من خدمة علماء الشيعة» وذلك في إشارة إلى «بوكو حرام».

وفي هذا الشان يقول مراسل هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي» في نيجيريا: في السنوات الأخيرة، زاد حجم عضوية الحركة الشيعية واتّسع نطاقها بعد أن كانت حركة صغيرة ومحدودة، وذلك في الوقت الذي تحول الاهتمام فيه إلى حركة بوكو حرام، وهي حركة إسلامية سنية تحارب من أجل إقامة دولة إسلامية في نيجيريا.

الجهل والصوفية

وبخلاف ما سقناه من أسباب لانتشار التشيع وبروز المكون الشيعي على حساب المالكية فإن ثمة ظروفا معينة ساعدت على ذلك، من بينها انتشار الجهل الشديد بتعاليم الدين الإسلامي، بين الأميين أو حاملي الشهادات العليا على حد سواء مما جعل من السهل التأثير على المسلمين، إضافة إلى انتشار الصوفية وخاصة فرقتي التيجانية والقادرية، حيث وجدت إيران وحلفاؤها في الصوفية في نيجيريا تربة خصبة لنشر مذهبها، نظرا لما هو معروف من قواسم مشتركة بينهما من التبرك بالأولياء والصالحين وتعظيمهم وزيارة الأضرحة والاحتفال بموالد أوليائهم، واعتماد الأوراد التى لم ترد في القرآن والسنة الصحيحة.

وفي حقيقة الأمر فعند بدء نشر المذهب الشيعي في الثمانينات لم يكن هناك حائط صد فكري لمواجهة المذهب الشيعي، في ظل غياب أية مؤسسات عربية تعمل في المجال الدعوي أو الإغاثي باستثناء أعداد قليلة جداً من الدعاة غير المؤهلين بشكل كافٍ للقيام بدورهم الدعوي أرسلهم الأزهر لنيجيريا وغيرها من البلدان الأفريقية.

كما منح تركز الغالبية العظمى من المسلمين في الولايات الشمالية البالغ عددها ١٩ ولاية، القادة الشيعة ميزة خاصة ساهمت بشكل كبير فى سهولة تحركهم لنشر مذهبهم.

الزكزاكي غلام طهران

وقد بدأت أولى خطوات التشيع في نيجيريا التي يصل عدد سكانها إلى ١٦٠ مليون نسمة يمثل المسلمون منهم ما بين ٦٥ إلى ٧٥٪ في ثمانينات القرن الماضي بعد أن ظلت الدولة لقرون مالكية المذهب منذ أن دخلها الإسلام فى القرن الثامن

الهجري، وكانت البداية مع الشاب إبراهيم الزكزاكي الحاصل على بكالوريوس الاقتصاد من جامعة أحمد بن بللو، حيث اعتنق المذهب الشيعي وبدأ في نشره داخل البلاد، وقرأ الترجمات الإنجليزية للكتب الشيعية التي كانت توزعها سفارة إيران مجاناً، وحافظ الزكزاكي على قاعدة التقية في عدم إظهار مذهبه لحوالي ١٥ عاماً، حتى ظهرت في عام ١٩٩٥ حقيقة تشيعه عندما أجرت معه إحدى الصحف الإيرانية حوارا قدح خلاله في سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، ما دفع الكثير من أنصاره إلى الانشقاق عنه بعدما أعلن تشيعه علنا ولأول مرة.

انقسامات وجبهات

ومع تمدد المذهب الشيعي بدأت خلافات جوهرية في الظهور أدت إلى انقسام الشيعة إلى قسمين، أحدهما يمثله الزكزاكي الذي يعادي الدولة ويصفها بالطاغوت، وقد خاض أنصاره العديد من الصدامات العنيفة مع السلطة عبر عقود من الزمن، وهناك حاليا نحو ١٢٠ معتقلا من أتباعه في سجون الدولة.

فيما يمثل القسم الثاني اثنان من أهم اتباعه وهما: حمزة الأول وصالح زاريا، وكلاهما تلقى علوم التشيع في إيران وقد انشقا عن الزكزاكي، بعدما اعتبراه جاهلا بالعلوم الشرعية، وعلى العكس تماما أبديا رغبة في الانخراط في مؤسسات الدولة المختلفة، وانتشر نشاطهما بين الشباب في الجامعات، وهو ما حدا بالمراقبين إلى اعتبارهما رأس الحربة القادمة في نشر المذهب الشيعي في نيجيريا.

ويتركز المسلمون بشكل عام في ولايات الشمال، فيما ينتشر الشيعة في ولاية زاريا، عاصمة كادونا الشمالية وكذلك لهم أتباع في ولاية كانو وسوكوتو، وكانو، ويمارسون نشاطاتهم في حرية تامة لدرجة أنهم يجاهرون الآن بسب الصحابة في مساجدهم دون خوف.

مدارس ومؤسسات وإعلام

وقد شهدت العلاقة بين الحكومة المسيحية والشيعة منعطفات كثيرة بدأت بتوترات في الماضي، ثم ما لبثت السلطات أن سمحت لهم بتأسيس المدارس، وفتحت المجال أمامهم لممارسة نشاطهم «الدعوي» بشكل كبير، ففتح الشيعة أبواب مدارسهم على مصراعيها مجانا أمام أطفال المسلمين، ولم تتردد الأسر الفقيرة في إرسال أبنائها للتعلم الذي يغرس في عقول الصغار المذهب الشيعي، ويتم تعليمهم في عدد من المدارس اللغة الفارسية، وقد قام الملحق الثقافي الإيراني في مايو عام ٢٠٠٩ بعقد مؤتمر في جامعة لاجوس بعنوان «ما هي التحديات في تعلم اللغة الفارسية وثقافتها في المجتمع النيجيري»، كذلك يتم اختيار بعض الطلاب المتفوقين لإرسالهم إلى إيران لتلقي علوم المذهب هناك والعودة لنشره في البلاد، والعمل كمعلمين في هذه المدارس.

وتقوم السفارة الإيرانية في العاصمة أبوجا بطباعة الكتب الشيعية باللغة المحلية «الهوسا»، فيما تنتشر المواقع على الإنترنت للترويج للمذهب. وهناك أيضاً جريدة «الميزان» اليومية والتي تصدر بلغة الهوسا منذ نحو عقدين، والتي تعتبر القوة الإعلامية الضاربة للشيعة حيث تنشر فيها مقالات علماء الشيعة وعلى رأسهم الزكزاكي، وتتبع نشاطاتهم داخل وخارج البلاد وتهتم بنشر الأخبار التي تخص إيران، إضافة إلى جريدة» المجاهد» الصادرة بالإنجليزية، بل نجحوا أيضا في ظل شهر العسل بينهم وبين الحكومة في شراء ساعات بث في الإذاعة والتليفزيون ليبثوا من خلالها برامجهم التي تحمل أفكارهم.

كما يلعب ما يسمى «الاتحاد الإسلامي للطلبة

الأفارقة في إيران» دورا كبيرا في استقطاب الشباب الإفريقي بشكل عام، والنيجيري على وجه الخصوص، وتسفيرهم إلى إيران، تقول صفحة «الاتحاد على الفيسبوك» ليبلغ الشاهد منكم الغائب حول هذه الغرفة، وهي تتعلق بكل الأفارقة المتخرجين والمشغولين بالدراسة في الجمهورية الإسلامية في إيران».

كذلك تدعم طهران الكثير من المؤسسات لنشر الفكر الشيعي في نيجيريا ومن أهمها مؤسسة «حيدر- نيجيريا» والتي تقول عن نفسها على موقع التواصل الاجتماعي: «مؤسسة حيدر - نيجيريا: من المؤسسات المهمة في تاريخ الاستبصار في نيجيريا، ولها دور كبير جدا في نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام في نيجيريا، وما زالت المحاولة في التوعية والتثقيف وتوحيد صفوف المسلمين جميعا. وفي فيسبوك Haidar Center وصفحة: مؤسسة حيدر – نيجيريا (بالعربية). والمؤسس هو سماحة الشيخ حافظ محمد سعيد، وقد مرت بمراحل من سنة ١٩٩٤ إلى يومنا هذا بأسماء مختلفة والتي سيأتي التفاصيل عنها وعن نشاطاتها بالتدريج».

الموقف من إيران

وكغيرهم من الشيعة في العالم، لا يجد شيعة نيجيريا غضاضة في الاعتراف بتبعيتهم غير المحدودة للدولة الصفوية، فبالرغم من نفيه تلقي أي تمويل من إيران، إلا أن الزكزاكي البالغ من العمر ٥٧ عامًا يحرص على تعليق صورة لزعيم الثورة الإيرانية الخوميني، كما يحرص هو وأتباعه أيضًا على متابعة الأحداث الجارية في إيران، ويعارض زعيم الشيعة في نيجيريا القيام بأي عمل عسكري ضد إيران ويقول إن ذلك لن يكون له تأثير فقط على نيجيريا ولكن على جميع أنحاء العالم.

مليشيا عسكرية ونفوذ تجاري

وتؤكد تقارير صحفية قيام الزكزاكي بتكوين مليشيا عسكرية يقوم أعضاؤها طوال الوقت بالتدريب على القتال، وهو ما كشفه المحلل السياسي النيجيري محمد كبير عيسى لأحد المواقع الإخبارية، لافتا إلى أن الحركة الشيعية باتت «دولة داخل الدولة»، وإنه يعلم أنها تقوم بإجراء تدريبات عسكرية لأعضائها، مما يكشف عن تدبير الشيعة لعمل ما في المستقبل.

كما حذر من إمكانية نشر المذهب الشيعي في دول إفريقية أخرى انطلاقا من نيجيريا والتي يأتي إليها الكثير من التجار، في ظل اشتغال الشيعة بالتجارة وتأسيسهم منتدى التجارة لتعزيز نفوذهم الاقتصادي لتسهيل عملية نشر مذهبهم بين التجار الوافدين.

الخاتمة

وفي النهاية تبقى الإشارة إلى أن انتشار التشيع في نيجيريا بات يدق ناقوس الخطر، ويتطلب تدخلا عربيا إسلاميا سريعا على المستوى الدعوي، لإنقاذ البلاد من براثن إيران وطموحاتها التوسعية لالتهام القارة، في ظل تقارير تشير إلى قيام طهران بإرسال مدربين عسكريين إلى البلاد لتعليم الشيعة النيجيريين فنون القتال، ولعل اعتقال السلطات لخلية تابعة لحزب الله مؤخرا في منزل استخدم لتخزين السلاح خير دليل على ذلك.

صورة أهل السنة في الكتب المدرسية الإيرانية

عرض: **أسامة شحادة**(*)– خاص بالراصد

صدر هذا الكتاب المهم عن مركز العصر للدراسات الإستراتيجية والمستقبلية في عام ٢٠١٢ وهو من إعداد د. نبيل العتوم، وتقديم د. عبدالستار الراوي، ويقع في ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير.

موضوع الكتاب في غاية الأهمية ولعله المحاولة العربية الأولى في هذا الباب، وقد بين المقدم د. الراوي مركزية التعليم والمدرسة في المشروع الخميني للسيطرة على المجتمع الإيراني المتنوع العرقيات واللغات والمذاهب، وأن القيادة الخمينية سعت من خلال فرض أحادية التعليم على كافة العرقيات والأقليات إلى الوصول إلى هيمنة فكر أحادي على الشعب من خلال طلابه، وللتخلص من تنوع الأفكار والتصورات.



ولذلك يرى الراوي أن إيران الخميني قامت بفرض أيديولوجية شيعية على كافة مكونات الشعب وتطويق ومحاصرة بقية المدارس والمذاهب في إيران، وهذا كله عبر عدة مستويات: قانونية وعرقية منهجية وعقدية.

أما المؤلف د. العتوم فبين في مقدمته أن إيران تسعى من خلال التعليم ومناهجه إلى إعداد كوادر رسالية مستقبلية تحمل فكر فقيه الثورة الخميني، ومن هنا تنبع خطورة المناهج التي يخضع لها هذا الجيل.

ولذلك حدد مشكلة البحث في: التعرف على حقيقة صورة أهل السنة التي تتكون عند الطلاب من خلال الكتب المدرسية، ومدى توافق هذه الصورة مع أهداف الثورة المعلنة والتي تطبل وتزمر للوحدة الإسلامية.

وقد قامت الدراسة على جمع الكتب المدرسية للمراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية، ثم قراءتها، ومن ثم ترجمة النصوص

(*) كاتب أردني.

المتعلقة بالدراسة، ثم تبويبها موضوعيا مع التحليل والنقد.

وقد نهجت الدراسة مسار تاريخ الإسلام في عرض صورة أهل السنة من خلال بيان محتوى المناهج الإيرانية لصورة أهل السنة من ظهور الإسلام وحتى العصر الحاضر، وكانت النتيجة الكبرى التي توصلت إليها الدراسة هي أن المناهج الإيرانية تتبع استراتيجيتين تجاه أهل السنة هما: استراتيجية الإغفال المتعمد والتي تغفل وجود أهل السنة/ الصحابة من تاريخ الإسلام! فمثلاً في حادثة الهجرة هناك شخصيتان فقط هما: النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، أما أبو بكر الصديق وابنته أسماء وعبدالله بن أريقط وعامر بن فهيرة فهؤلاء لا وجود لهم في المناهج الإيرانية تبعاً للعقيدة الشيعية التي تنفي أن يكون الصديق رضي الله عنه صاحب النبي ﷺ في الغار!!

والإستراتيجية الثانية هي التوكيد السلبي، حيث لا تذكرهم إلا في صورة سلبية ومشوّهة لترسخ في الشعب الإيراني كراهية أهل السنة، مما يسهل على الدولة الإيرانية تجييش الشعب الإيراني ضد الأمة الإسلامية كما نشاهد ونعاني اليوم في سوريا وغيرها من مشاركة الإيرانيين وأتباعهم في قتل أهل السنة في سوريا ولبنان والعراق والبحرين واليمن.

أما عن تفاصيل الصورة السنية التي تتبلور في ذهن الطالب الإيراني فهي تتكون من النقاط التالية:

- السنة لم يحملوا لواء الإسلام الحقيقي، بل يتحملون وزر التآمر على الشيعة عبر التاريخ.
- وأن السنة/ الصحابة يحملون أمراضا أخلاقية كالحسد والأنانية وتغليب المصالح الشخصية على مصالح الأمة.
- السنة/ الصحابة ليسوا بمؤمنين ولا مسلمين.
- وهم عندما فتحوا بلاد فارس كانوا همجيين متوحشين، هدفهم المال والغنائم.

هذا مجمل ما قدمته هذه الدراسة المهمة والفريدة، ولكن كان يمكن لهذه الدراسة أن تكون أكثر فائدة ومنفعة لو أنها كانت أكثر اتقانا وترتيباً، فمما آخذه على هذه الدراسة النقاط التالية:

١- لم يوضح الباحث/ فريق العمل (الذي لم يذكر ولم يشكر، وهذه آفة سيئة)، عدد الكتب المدرسية التي استند إليها من مجموع الكتب المدرسية التي جمعها ودرسها، لأنني لاحظت قلة الكتب التي نقدها مع اتساع نطاق الدراسة (كل المراحل الدراسية) ، ولم يحدد المرحلة الدراسية ولا المادة التي يختص بها الكتاب الذي استند إليه، واكتفى بالعزو إليه بطريقة غير مفيدة، كالتالي: تاريخ إيران وجهان ١، نظري (رشته أدبيات وعلوم إنساني)، شركت جاب ونشر هاي درسي إيران، جاب يزهم، ١٣٨٩، ص ٩٩. وأنا أتساءل: هل استفدتم شيئا من هذا العزو؟

ولا أعرف هنا هل تعتمد إيران شركات لتأليف الكتب المدرسية على غرار الغرب؟ أم هناك كتب مقررة من الحكومة ووزارة التربية؟

٢- عند ترجمة النصوص من الفارسية لم يلتزم الباحث/ فريق العمل بمراجعة النص العربي الأصلي والتزامه، فمثلا: يقول الباحث ص ١٩٦: "عندما وصل رأس الحسين عليه السلام والأسرى عند يزيد، قال أمام الحضور قراء شعر هذا مضمونه (ليت آباءنا الذين قتلوا في معركة بدر كانوا حاضرين وشاهدوا أننا وانتقمنا لهم قتلنا اليوم البطل الشجاع (الإمام الحسين)، ويزيد

وباستمراره في إنكار النبوة قال: لعب بنو هاشم بالحكومة ولم يبعث رسول ولا نزل وحي".

وفضلاً عن ركاكة الترجمة أو الخلل في الطباعة والمراجعة، فإن هذه أبيات شعر لابن الزبعري، فقد كذبوا على يزيد أنه استشهد بها وهي:

ليت أشياخي ببدر شهدوا

جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحا

ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من ساداتهم

وعدلنا ميل بدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا

خبر جاء ولا وحي نزل!!

وهناك عدة نصوص وقع فيها مثل هذه الترجمة المشوهة، وهذا ما يجب تداركه في الطبعة الثانية.

٣- الكتاب فيه طول زائد كثير (٧٠٠ صفحة) بحجة التحليل والنقد، ولو جرد الكتاب من الأبحاث الطويلة في الرد والتي لا يحتاجها الباحث المتخصص والذي يفترض فيه أنه المستهدف بهذه الدراسة لكانت فائدة الدراسة أكبر وانتشارها أوسع، لأن القيمة الحقيقية للدارسة هي جرد المناهج الإيرانية وإبراز النصوص المعادية لأهل السنة وليس في الرد المكرر على شبهات الشيعة!!

٥- القارئ للكتاب لا يحصل على صورة تفصيلية واضحة لسلبيات أهل السنة في المناهج الإيرانية بسبب سوء ترتيب الكتاب وعدم وضع فصول أو أبواب له والطول المرهق للقارئ وعدم وضع الخلاصات بشكل واضح، مما يجعلك تظن أن الكتاب بهذه الصورة لم يكن جاهزاً للنشر بل كان لا يزال مسودة في مراحل التحرير والحذف والتعديل، ولكن بصورة ما طبع على هذه الحال!!

٦- لم تتعرض الدراسة لنقد أكاذيب بعض الشيعة الذين يزعمون أن المناهج الإيرانية تقدم صورة إيجابية عن السنة بخلاف الكتب السنية التي تشوه صورة الشيعة على غرار أكاذيب د. طلال عتريسي في كتابه (الجمهورية الصعبة).

٧- لو زود الباحث/ فريق العمل الدراسة بصور من أغلفة الكتب ومواطن الاستشهاد لكان أفضل.

ختاماً: هذا الكتاب محاولة يُشكر أصحابها، وخطوة في الاتجاه الصحيح للبحث والدراسة للعدو الشيعي الإيراني، ولكن نحتاج فيها وفي مثيلاتها من الدراسات إلى المزيد من الإتقان والجدية حتى نثبت حقنا القوي بالحجة القوية.



على بلاطة

قالوا: بالمنطق العسكري، انتقال عناصر وكتائب «حزب الله» إلى سورية يعني إفراغ جبهات وخطوط قتالية بكاملها، الجبهة اللبنانية مع إسرائيل طويلة، كما يعني إجراء مناقلات لمجاميع عسكرية بعدتها وعتادها، فيما المنطقة ترزح تحت مراقبة كاميرات الأقمار الصناعية الإسرائيلية، والمنطق يقول إن إجراء هذه العملية اللوجستية الضخمة لا بد أنه يستدعي حصول تفاهمات إقليمية معينة كضمانة لسلامة سير العملية، إذ لا يمكن لجهة عسكرية يفترض أنها في حالة حرب القيام بهذا التحرك الواسع والمكشوف بدون أخذ ضمانات معينة بعدم استهداف هذه العملية.

غازي دعمان – إيلاف ٢٠١٣/٥/٢٢

الشيعة يكذبون وفي حماس ينفون!

قالوا: نفت كتائب الشهيد عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، أن تكون أدلت بأي تصريحات حول الشأن السوري، معلنة التزامها بموقف القيادة السياسية للحركة. ونفى أبو عبيدة ما أوردته صحيفة القدس العربي نقلاً عن مصادر مجهولة، تحدثت عن موقف كتائب القسام مما يجري في سوريا، يخالف موقف القيادة السياسية، وإرسالها رسالة للمكتب السياسي للحركة بهذا الخصوص.

مفكرة الإسلام ٢٠١٣/٦/٦

الإسلام قادم

قالوا: ذكرت صحيفة «الديلي تليجراف» أن الديانة المسيحية في بريطانيا تواجه انهيارا كارثيا وتضمحل بشكل غير مسبوق، حيث أن واحدا من كل عشرة بريطانيين ممن هم تحت سن الـ٢٥ هو مسلم.

وأشارت الصحيفة البريطانية في تقرير لها في ١٨ مايو إلى تحليل جديد لإحصاء أجري عام ٢٠١١ أظهر أن عقدا من الهجرة الجماعية ساعد في تدني الانتساب إلى المسيحية بين السكان البريطانيين، بينما كانت هناك زيادة كبيرة في اعتناق الإسلام، خاصة بين الشباب، وهذا يعني لأول مرة أن أقلية من البريطانيين سيصفون أنفسهم بأنهم مسيحيون خلال العقد القادم.

وطن نيوز ٢٠١٣/٥/١٩

حتى في روسيا.. أيقظوا الصوفية

قالوا: نظمت يوم ٤ يونيو/حزيران، في موسكو طاولة مستديرة، مكرسة لانبعاث التقاليد الصوفية في الفضاء السوفيتي السابق. ويعتقد العديد من ممثلي المجتمع الروسي ورجال الدين بأن الصوفية في الوقت الحاضر هي خير طريق للنهضة الروحية ومواجهة مخاطر التطرف. لقد نظمت هذه الطاولة الإدارة الدينية لمسلمي مدينة موسكو والمنطقة الوسطى لروسيا بالاشتراك مع مركز الإدارة الدينية لمسلمي روسيا.

إن هذا اللقاء لرجال الدين والشخصيات الاجتماعية والعلماء، هو أول محاولة لمسلمي روسيا في التوجه نحو العقيدة الصوفية المعاصرة المتصفة بالتسامح والشفافية. إضافة لذلك تذكر ممثلو المؤسسات التعليمية الدينية من تتارستان وداغستان وبشكيريا ومناطق أخرى من روسيا لحظات من تاريخ التصوف في الامبراطورية الروسية. وكانت قراءة القران الكريم من قبل سيدة مسنة من تتارستان بطريقة خاصة مفاجأة سارة للحضور، حيث قرأت سور الكتاب المقدس بلغة عربية جيدة ولكن بنبرة خاصة بالشعوب الناطقة بالتركية.

ولم يكتف هؤلاء بتذكر الماضي: فألبير كرغانوف مفتي موسكو والمنطقة الوسطى، الذي دعا إلى هذه الطاولة المستديرة، اقترح عقد مؤتمر دولي يُكرس لانبعاث التقاليد الصوفية في الفضاء السوفيتي السابق. إن هذه الفعالية غير الاعتيادية بعض الشيء لروسيا، مثل مناقشة آفاق الصوفية، مكرسة لمرور ١٨٠ سنة على ميلاد الناشط الديني زين الله رسولوف.

إن هذا الناشط الديني من أنصار الأفكار الصوفية بالطريقة النقشبندية أسس في مدينة ترويتسك الواقعة جنوب الأورال مدرسة «الرسولية» التي أصبحت فيما بعد من أضخم المدارس الدينية الإسلامية في ذلك الوقت. وتجدر الإشارة، إلى أن الإسلام دخل إلى أغلب مناطق الامبراطورية الروسية بشكله الصوفي. وكان النشاط الديني خلال العهد السوفيتي محظورا، وتعرض الصوفيون إلى الاضطهاد والملاحقة، مما أدى إلى ضياع تقاليد الصوفية في روسيا.

موقع روسيا اليوم – ٢٠١٣/٦/٤

اعتذر الشيخ القرضاوي.. فأين البقية؟!

مدونة عمر خليفة راشد

عندما اندلعت حرب لبنان المفتعلة في يوليو ٢٠٠٦م بين اليهود والمجوس، كتبنا سطورا ننبه فيها إلى خطورة حزب اللات الشيعي، وأن للأمر ما بعده، والمؤامرة قادمة لا محالة ضد أهل السنة في لبنان وغير لبنان. وأذكر أن (بعض الأصحاب) قد لامونا على هذا الرأي، باعتباره مخالفا لرأي الأمة في دعمها للحزب في معركته الجهادية ضد الصهاينة ! بعد سنتين، وعندما قام الحزب في مايو ٢٠٠٨م بـ (غزو) ديار السنّة في بيروت الغربية، قيل لنا: «كنتَ على حق» !هكذا دائما يأتينا الوعي متأخرا.

أما اليوم، فقد دخل على خط الاعتذار الفقيه الكبير الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله، وذلك في موقف يدل على الشجاعة وطلب الحق، وإن جاء متأخرا عشرات السنين!

نقل موقع (العربية نت) بتاريخ ٢ يونيو ٢٠١٣م عن فضيلته:

«إن الثورة السورية أجْلَت الحقيقة وبيّنت حقيقة حزب الله وشيعته الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله»..

«وقفتُ ضد المشايخ الكبار في السعودية داعياً لنصرة حزب الله، لكن مشايخ السعودية كانوا أنضج مني وأبصر مني؛ لأنهم عرفوا هؤلاء على حقيقتهم»..

«**الشيعة يعدّون العدة وينفقون المال** من أجل تنفيذ مجازر في سوريا للفتك بأهل السُّنة»..

«لا أرضية مشتركة بين الجانبين لأن الإيرانيين، خصوصاً المحافظين منهم يريدون أكل أهل السُّنة».

لقد أعلن الشيخ القرضاوي، وبكل شجاعة وإخلاص، تخليه عن مواقفه القديمة تجاه الشيعة وإيران وحزب اللات. ولكن ماذا عن البقية من قادة وعلماء ومفكرين وكتّاب وساسة.. أولئك الذين مارسوا –بقصد أم بغير قصد- تزييف الوعي وتزوير الحقائق لسنوات طويلة!

ماذا عن الأستاذ الكبير، والداعية الصابر محمد مهدي عاكف، الذي كان يقود أكبر جماعة إسلامية في الوطن العربي، والذي صرح باستعداده لإرسال عشرة آلاف متطوع لمساعدة حزب اللات خلال حرب لبنان عام ٢٠٠٦م ! بينما سكت تماما عن مذابح المسلمين في العراق على يد المليشيات الشيعية المجرمة..

ماذا عن رجل الأعمال العصامي الأستاذ يوسف ندا ، الذي يكتب (من أعماق أوروبا) المقال تلو المقال في (تبييض) صفحة الشيعة ونفي كل الرذائل عنهم..

ماذا عن تلك الحركة المجاهدة التي بعثت برسالة تعزية إلى حزب اللات بمناسبة هلاك المجرم (عماد مغنية)، قالت فيه: «رحم الله الشهيد رحمة واسعة، سائلين المولى عزّ وجلّ له الفردوس الأعلى» ! أهذه مكانة الفردوس الأعلى حتى يدخله هذا الزنديق ؟!

ماذا عن ذلك العالم الأزهري ورئيس لجنة الفتوى السابق بالأزهر الشريف الشيخ جمال قطب، والذي عندما سُئل عن الفرق بين السنة والشيعة قال: «كالفرق بين الأهلي والزمالك» ! ما هذا الاستهتار بعقائد المسلمين يا فضيلة الشيخ ؟

وماذا عن المفكر المعروف والمستشار الكبير طارق البشري، الذي وصف الشيخ القرضاوي بـ (الفاشية)، لمجرد أن الشيخ حذر من المد الشيعي في تصريحه المشهور عام ٢٠٠٨م..

وماذا عن الشيخ اللبناني الصيداوي ماهر حمود، الذي يدافع في كل مناسبة عن حزب اللات بطريقة يحسده عليها حتى حسن نصر اللات نفسه..

وماذا عن المفكر الإسلامي (الوسطي) الكبير أحمد كمال أبو المجد، الذي (آلمه) أن تصدر تصريحات عن الشيخ القرضاوي بشأن المد الشيعي، ولم نره يتألم يوما بسبب مجازر الشيعة بحق أهل السنة في إيران والعراق ولبنان واليمن وغيرها!

والأستاذ فهمي هويدي، الذي تكلمنا عن بعض طاماته في مقال سابق..

وقبله الدكتور محمد سليم العوا..

وكذلك الدكتور كمال الهلباوي ..

وغيرهم كثير.

أقترح على هؤلاء الأفاضل أن يجتمعوا معا ويصدروا (بيان اعتذار جماعي) للأمة عن مواقفهم السابقة!

السلفيون والعمل السياسي بين مصر وتونس

عبد المنعم الشحات – موقع الإسلاميون ٢٠١٣/٦/٧

فقد نشر موقع «اليوم السابع» ملخص محاضرة ألقاها الشيخ «راشد الغنوشي» في العاصمة الأمريكية واشنطن:

http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=1092903.

وقد وجدتُ في هذه التصريحات إجابة على الطرح الذي يطرحه الكثيرون من أنه كان من الأفضل ألا يدخل السلفيون في مصر العمل السياسي؛ اكتفاءً بوجود تيارات إسلامية أخرى تهتم بالقدر المطلوب في هذه المرحلة وهو تثبيت مرجعية الشريعة!

وذلك أن هذا الطرح من الشيخ «راشد الغنوشي» قد أثبت أنه وصف إسلامي صار من الاتساع بحيث يشمل أفرادًا أو اتجاهاتٍ تميل إلى المزج بين الإسلام وبين غيره من الأطروحات مع عدم الدفاع عن مرجعية الشريعة كلفظ جامع مانع، ولكن الإحالة لهذا المزيج الذي اختاروه.

وإذا استصحبنا أن التيارات الإسلامية التي خاضت غمار العمل السياسي قبل الثورة قد دل التاريخ والواقع أنها تجنح في كثير من الأحيان ناحية هذه الأطروحات؛ علمنا أهمية وجود عمل سياسي سلفي طالما غلب على الظن أن المناخ يتيح للقوى السياسية أن تؤثر في مؤسسات الدولة، وقبل ذلك شكلها الدستوري؛ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن تصريحات الشيخ «راشد الغنوشي» تضمنتْ الكثير من القضايا التي تستحق التنبيه.

وإليك ما ذكرته الصحيفة عن الشيخ «راشد الغنوشي»، ثم نعلق عليه بعد ذلك:

(قال راشد الغنوشي رئيس حزب النهضة التونسي: إن الجمعية التأسيسية للدستور أوشكت على الانتهاء من كتابة مسودة دستور تونس الجديد، مؤكدًا على أنها خالية من «مصطلح الشريعة».

وأضاف خلال جلسة نقاشية شارك بها اليوم في العاصمة الأمريكية «واشنطن» أنه تم الاتفاق على عدم ذكر الشريعة في أول دستور لتونس بعد الثورة حتى يكون معبّرًا عن جميع أطياف الشعب التونسي سواء الأغلبية أو الأقلية، لكنه أكد أيضًا على أن مسودة الدستور الجديد تعبر عن قيم الإسلام الممزوجة بالقيم الديمقراطية الحديثة.

ووجه «الغنوشي» انتقادات حادة للتيار السلفي ببلاده قائلاً: «حاولوا فرض آرائهم بالقوة وبمخالفة القانون، وأنا أقول لهم: «لا تظنوا أن الديمقراطية ضعيفة»، منتقدًا أيضًا تصرفات بعض التيارات اليسارية المتشددة، داعيًا السلفيين ببلاده إلى الانخراط في الحياة السياسية من خلال تشكيل الأحزاب كما فعل السلفيون في مصر.

ووصف السلفيين بأنهم «ثمار نظام ابن علي وليس الثورة»، معتبرًا السلفيين المتشددين «ظاهرة معقدة لا تظهر سوى في المناطق الفقيرة!»؛ مؤكدًا على أن تونس «لن تتحول من «الربيع العربي» إلى «الشتاء الأصولي» معتبرًا أنه يمكن التعاون مع العلمانيين المعتدلين، لكن التحالف مع الإسلاميين المتشددين، وقال مازحًا: «هؤلاء لا يلتقون إلا ليتقاتلوا!».

وشدد «الغنوشي» على أهمية التحالف ما بين الإسلاميين المعتدلين والعلمانيين الوسطيين لتجنب حالة الاستقطاب السياسي التي حذر منها قائلاً: «حاولنا قدر المستطاع تجنب الاستقطاب؛ لأننا رأيناه في الدول الأخرى تحول إلى عقبة للانتقال للديمقراطية»، معتبرًا أن نجاح الإسلاميين في الوصول إلى السلطة لا يعني أن من حقهم الهيمنة على كل شيء وإقصاء العلمانيين، ولكن يعني «أنهم الأكثر شعبية».

مضيفًا: «الإسلاميون الآن تحت الاختبار، وإذا لم ينجحوا سيتم انتخاب غيرهم»، مؤكدًا على أهمية احترام نتيجة الانتخابات، وأنه سيحترمها حتى لو انتخب الشعب «الحزب الشيوعي!»).

ولنا على هذا الكلام عدة وقفات:

الوقفة الأولى: «قوله إن الدستور لم يحتوِ على مصطلح الشريعة»:

فيجب أن يُعلم أن الشريعة ليست مصطلحًا محدثًا مما يُقال فيه: «لا مشاح في الاصطلاح»، بل هو مصطلح شرعي؛ قال الله - تعالى- : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية:١٨].

فإذا تغاضيت عن هذه الجزئية لوجدت أن مشكلة المخالفين أيضًا ليست اصطلاحية، بل موضوعية، وأنهم يريدون حريات بلا ضوابط «في مقابل تحريم بعض ما أحل الله: كتعدد الأزواج، والطلاق، وغيرها... !» ومتى وجد مَن ينسب لهم هذه القضايا إلى الشريعة فلن يكون لهم حينئذٍ مشكلة مع مصطلح الشريعة.

الوقفة الثانية: إن الشيخ «راشد الغنوشي» حينما حاول أن يستدرك من أنه وضع قيم الشريعة في الدستور لم تطاوعه نفسه حتى قال: «ممزوجة بالمبادئ الغربية!».

و«الغنوشي» هنا يصرح بمسلكين خطيرين تتبعها المدرسة العقلانية، والتي تنتمي إليها معظم التيارات التي تعمل في العمل السياسي على أرضية غير سلفية (لاحظ أن حتى الجماعات التي يوجد في داخلها أكثر من تيار فإنها تحافظ على أن يتصدر المشهد السياسي رموز من التيار العقلاني، مثل: الدكتور عصام العريان، والدكتور حلمي الجزار في مصر).

وهذان المسلكان هما:

الأول: استخدام مسميات كثيرة من مبادئ الشريعة

إلى مقاصد الشريعة إلى قيم الشريعة، وهذه المسميات كلها «وصفها الحقيقي الذي وصفها الله به هو الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض».

بل إن القيم العامة والمبادئ العامة يمكن أن تكتشف أنها هي القيم والمبادئ التي تدعي كل المناهج في الشرق والغرب أنها تسعى إلى تحقيقها من الحرية والعدالة القانونية والاجتماعية والإنسانية، ولو اعتبرنا بالعناوين فقط؛ لاستوت الديمقراطية مع الشمولية، ولتطابقت الرأسمالية مع الاشتراكية.

ومِن ثَمّ فقول الشيخ «راشد الغنوشي» هنا أنه مزج قيم الإسلام مع قيم الحضارة الغربية، فإن حقيقة ما فعله هو «أخذ قيم هذه الحضارة».

وهذا هو المسلك الثاني «وهو المزج بين الإسلام وغيره!»: والإسلام الذي عنوانه: «لا إله إلا الله»، «وإن الحكم إلا لله» يأبى هذا المزج، وفي الحديث القدسي: (أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ) (رواه مسلم).

وهنا لابد لنا من التنبيه على أمرين:

الأول: أن هذا المزج الممنوع بين القيم لا ينفي أن تنقل عن الغير فيما أحالك الشرع فيه على «تجاربك الإنسانية»، ومِن ثَمّ فمن حقك أن تنقل تجربة غيرك ما دام كان ذلك في دائرة المباح، وليست في دائرة الأمور المطلوب فعلها أو المطلوب تركها، وهي التي تمثِّل القيم.

الثاني: القيم الغربية يجب أن تُعرض على الشرع فيقبل منها ما يوافقه ويرد ما يخالفه، وهذا ليس مزجًا بين القيم، ولكنه في هذه الحالة يكون إعلاءً لشأن الشريعة وجعلها المرجعية العليا لكل ما ورائها.

الوقفة الثالثة: ادعاؤه أن السلفيين حاولوا فرض آرائهم بالقوة هو نوع من الظلم للسلفيين في «تونس»، وكأن قَدَر السلفيين أن يكونوا ضحية للاستبداد العالماني والإسلامي على حد سواء!

ومن المعلوم أن هناك تيارات ترى فرض آرائها بالقوة، وأن لهم أسماءً قد يكون منها مصطلح: «السلفية الجهادية»، ومع ذلك فلا يخفى على الشيخ «راشد الغنوشي» أن مصطلح «السلفية» عند الإطلاق يدل على هؤلاء الذين يعلون من شأن الشريعة، ولكنهم لا يفرضون آرائهم بالقوة.

الوقفة الرابعة: دعوى «أن السلفية ليسوا من صنيعة الثورة، ولكنهم من صنيعة النظام القديم»: دعوى غريبة تحتاج منه أن يشرح لنا ماذا يعني بذلك؟! مع الأخذ في الاعتبار أن الأمر الذي يستند إليه البعض في وصم السلفيين بهذه التهمة في بلادنا هو وجود شيء من الحرية الدعوية للسلفيين في ظل النظام السابق - «مع أنها كانت منتزعة بفضل الله - عز وجل- بانتشار الدعوة وكثرة أتباعها، وصبر دعاتها»- ، ولكن هذا لم يكن موجودًا في «تونس» بحال من الأحوال، بل كانت اللحية أو الحجاب سببًا مباشرًا لكي يفصل صاحبها أو صاحبته من العمل مباشرة؛ مما يدل أن هذه التهم هي تهم مُعلَّبة «عابرة للبلاد والقارات!».

الوقفة الخامسة: قوله بالترحيب بأي حزب يختاره الشعب ولو كان الحزب الشيوعي! يوضح الفرق بيْن مَن يؤمن بالديمقراطية ولكن بنكهة إسلامية، وبيْن من يقبل بحكم الواقع بآليات الديمقراطية من انتخابات، وفصل بين السلطات، وغيرها... شريطة التزام الجميع بأحكام الشريعة عن طريق وضع نص دستوري ملزم لكل السلطات بعدم مخالفة الشريعة.

وأخيرًا أقول: إن الدعوة السلفية وحزب النور، قد تمكنا بفضل الله - عز وجل- من وضع المواد رقم: (٤) و(١١) و(٨١) و(٢١٩) بالإضافة إلى المادة الثانية.

ولك أن تتصور ماذا كان سيكون الحال لو انفردت التيارات الإسلامية التي يدخل ضمن مكوناتها الرئيسية «تيار العقلانية المعاصر» الذي ظهر لك بعض أصوله في كلام الشيخ «الغنوشي»؟!

الوقفة السادسة: دعوة الشيخ «راشد الغنوشي» للتحالف بين من يمثلون الإسلام الوسطي - «من وجهة نظره هم هؤلاء الذين امتنعوا من ذكر مصطلح الشريعة!»- مع العلمانيين في مواجهة المتطرفين السلفيين، وهو حلف نشأ عدة مرات في بلاد إسلامية وبأسماء كثيرة، وتحت مبررات شرعية، من أشهرها:

«حلف الفضول»؛ متناسين أن الحلف بين هؤلاء الإسلاميين والعلمانيين لا يتضمن فقط ما اتفقوا عليه من الحفاظ على حقوق الناس - والتي يبدو من كلام الغنوشي ومن تصرفات غيره أن السلفيين مستثنون منها- ، ولكن هذه الأحلاف فرضت عليه وعلى غيره ألا يذكر الشريعة، وألا يرجع إلى قيمها خالصة حتى وإن لم يذكرها، وإنما لا يرجع إلى قيمها إلا ملفقة مع غيرها من القيم الغربية.

الشيعة يجمعون ١٠٠ ألف توقيع لسحب الثقة من مرسي.. والصوفية تنسق مع "الإنقاذ" والكنائس

الدويني فولي ومحمد منيس الخميس- المصريون ٢٠١٣/٦/٦

قال بهاء أنور محمد، المتحدث باسم الشيعة المصريين، إنه تم جمع ما يقرب من ١٠٠ ألف توقيع من المتشيعين في مصر على استمارة «تمرد» لسحب الثقة من الرئيس محمد مرسى والمطالبة بانتخابات رئاسية جديدة. وأضاف، أن هذه الاستمارات سيتم تسليمها إلى منسقي حملة «تمرد»، مؤكدًا رفضه للحكم الديني بنوعيه، حكم ولاية الفقيه السنية المتمثل في «الإخوان المسلمين»، أو حكم ولاية الفقيه الشيعية، المتمثل في دولة الملالي بإيران، حسب قوله. فيما اعتبر الدكتور أحمد هلال، القيادى الشيعى، أن «الإخوان لم يستفيدوا من تجربة الثورة الإيرانية التى تخلصت من التبعية للولايات المتحدة والكيان الصهيونى»، متهمًا الجماعة بأنها تعامل المصريين وكأنها «الوكيل الحصرى للإسلام»، وأنها تسير على نفس نهج الرئيس السابق حسني مبارك من تصفية للمعارضين، والسعي للسيطرة والتمكين والهيمنة على كل مفاصل الدولة. وأكد مشاركة الشيعة في تظاهرات يوم ٣٠ من الشهر الجارى، داعيًا كل طوائف الشعب المصرى للنزول والمشاركة للتخلص من هذا النظام «الفاشل» إداريًا واقتصاديًا. ووصف المؤتمر الأخير للرئاسة مع رؤساء الأحزاب بأنه «يمثل أكبر خطر على الأمن القومي»، مشددًا على ضرورة إسقاط النظام للحفاظ على الثورة المصرية. من جانبها، أعلنت الطرق الصوفية، سعيها للتنسيق مع جميع الائتلافات الثورية والسياسية، وعلى رأسها جبهة الانقاذ الوطنى للحشد في تظاهرات ٣٠ يونيه القادم للمطالبة بإسقاط الرئيس محمد مرسي وإجراء انتخابات رئاسية مبكرة. وقال إبراهيم زايد، منسق ائتلاف الطرق الصوفية، إن الائتلاف سيدعو إلى مسيرة حاشدة لم يتم تحديد مكان انطلاقها، حيث من الممكن أن تتجه من مسجد الحسين إلى قصر الاتحادية بمصر الجديدة، مشيرًا إلى التنسيق مع اتحاد ماسبيرو واتحاد الكنائس. وقلل من إعلان الإخوان الحشد في تظاهرات ٣٠ يونيه للاحتفال بذكرى مرور عام على وصول الرئيس إلى السلطة، قائلاً إن ذلك «لن يرهب المعارضة المصرية، وإن القوى الثورية استوعبت الدرس ولن تسمح بأى اعتداءات عليها، كما حدث سابقًا في موقعة الاتحادية واعتداء الإخوان على المتظاهرين السلميين»، مشيرًا إلى أن الأمر إذا استدعى استخدام القوة للدفاع عن أنفسهم سيفعلون. وقال عبد الله الناصر حلمي، أمين عام اتحاد القوى الصوفية وآل البيت، إن الاتحاد سيشارك في مظاهرات إسقاط الرئيس، مطالبًا الرئيس محمد مرسي بأن يحقن دماء المصريين ويعلن التنحى قبل ٣٠ يونيه، وأن يتم تشكيل مجلس رئاسى مدنى يتكون من كل الأطياف السياسية، ومنها الصوفية التى يتم تهميشها بأسلوب متعمد من جماعة الإخوان المسلمين على أن يتولى المجلس الرئاسى الحكم لمدة ٦ شهور إلى حين وضع دستور للبلاد، وإجراء الانتخابات البرلمانية والرئاسية. وقال عصام محيي، الأمين العام لحزب التحرير المصري، إن الحزب سيعقد عدة لقاءات مع تكتل القوى الثورية الذي يضم معظم الائتلافات الثورية والسياسية، للتنسيق في مظاهرات ٣٠ يونيه، مشيرًا إلى أن الصوفية تتعاون مع حركة تمرد لجمع ١٥ مليون توقيع للمطالبة بتنحي الرئيس محمد مرسي وإجراء انتخابات رئاسية مبكرة بعد فشل هذا النظام فى إدارة شئون البلاد، وتردى الأوضاع السياسية والاقتصادية، وهو الأمر الذي يهدد مصر بالخطر.

حول القرضاوي والثورة السورية

أسامة شحادة – الغد ٢٠١٣/٦/٧

أثارت تصريحات الشيخ يوسف القرضاوي ضد [إيران «الشيعية» وزعيم حزب الله اللبناني حسن نصر الله، ووصفه «بنصر الطاغوت» كما وصف حزبه بـ«حزب الشيطان» بسبب تدخلهما عسكريا في سورية الى جانب الرئيس بشار الأسد. واعترف القرضاوي أنه كان مخطئا عندما ساند في وقت سابق الشيخ حسن نصر الله، وقال «دافعت عن من يسمى حسن نصرالله وحزبه حزب الطاغوت وحزب الشيطان، ووقفت أمام مشايخ السعودية أدافع عنهم ويبدو أن مشايخ السعودية كانوا أنضج مني».

وقال الشيخ يوسف القرضاوي في الدوحة في مهرجان تضامني مع الشعب السوري أقامه الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي يرأسه إن «زعيم حزب الشيطان يأتي ليقاتل أهل السنة (...) هكذا يأتي نصر الطاغوت والظلم ليقتل المسلمين من أهل السنة»] (الغد ٢٠١٣/٦/٢)، ردود فعل واسعة، فأتباع بشار الأسد وخامنئي رأوا فيها نكوصاً وانهزامية وعمالة وظلامية، أما مؤيدو الثورة السورية فرأو فيها توبة وصدقا وإنكارا للذات وجرأة وقوة بالصدع بالحق والاعتراف العلني بالخطأ.

وبين الفريقين سجالات ونقاشات لن تنتهي، ولكن أعتقد أن هناك بعض الحقائق لابد من بيانها في خضمّ هذه الحوارات الصاخبة والنقاشات الساخنة، ومنها:

١- من هو الطائفي؟ هل هو القرضاوي الذي سبَح ضد التيار وضد جماعته وأغلبيته السنية سنين عديدة ثم صُدم بإصرار الآخرين على ترويج عقيدتهم وطائفيتهم في أوساط السنة بكل وسيلة حتى وصل بهم التطرف للقتل والحرب الأهلية كما حدث في البحرين والعراق ولبنان واليمن واليوم في سوريا وكل ذلك تحت شعارات علنية: مظلومية الشيعة، نصرة الشيعة، الدفاع عن مراقد الشيعة، الدفاع عن المحافظة الخامسة والثلاثين الإيرانية في سوريا.

هل الطائفي هو القرضاوي الذي يدافع عن الشعب السوري الذي تقصفه الطائرات والمدفعية السورية التي بذل دمه وعرقه في شرائها بدلا من قصف إسرائيل! أم الطائفي هو الذي يحشد ويصدر أتباعه بخطابات طائفية وشعارات فئوية من كل الجنسيات للقتال في سوريا للقضاء على الثورة السورية التي قامت في وجه الظلم والطغيان والعمالة.

٢- من هو المانع والمقاوم؟ ومن هو العميل أهو القرضاوي حين يؤيد ثورة الشعب السوري التي يتآمر عليها العالم كله اليوم حفاظاً على أمن إسرائيل؟ هذه الثورة التي تعتبرها إسرائيل مهددة لوجودها نفسه وليس لأمنها فقط، أم العميل هو النظام الأسدي الذي تبذل إسرائيل في سبيل بقائه الغالي والنفيس؟

أين هي المقاومة والممانعة وجبهة الجولان جثة هامدة من أكثر من ٤٠ سنة؟ أين هي الممانعة والمقاومة وإسرائيل تعربد في سوريا ولا أحد يحرك ساكنا ثم يخرج علينا ناصر قنديل ليقول بأن عدم رد بشار الأسد على عدوان إسرائيل على دمشق هو قمة العبقرية الإستراتيجية، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا إذا كنتم تخونون الأنظمة العربية طيلة السنوات الماضية؟

٣- من هو الحريص على الوحدة والتعاون؟ هل هو القرضاوي الذي يدعم المستضعفين وينصرهم على عدوهم الظالم والقاتل والذي لم يقدم لشعبه لا أمناً ولا أماناً ولا تقدما ولا حرية ولا عدالة، أم هو حسن نصر اللّه الذي يقتل السوريين سواء بدافع مناصرة بشار المجرم الذي سهل له مصادرة لبنان في السنين الماضية أو بدافع حماية أضرحة الشيعة المزعومة في سوريا، والتي في سبيلها لا قيمة لدماء السوريين ولا كرامتهم ولا شرفهم!

٤- من الذي ينفذ على الأرض مشاريع التقسيم الغربية والصهيونية؟ هل هو القرضاوي الذي يناصر الشعب السوري بجميع مكوناته على نيل حريته واستعادة كرامته، أم خصومه الشيعة من إيران وحزب اللّه الذين

قسموا اليمن والعراق ولبنان فعلياً على الأرض ويعملون على تنفيذ ذلك في سوريا من خلال دويلة علوية نصيرية.

أليست الدولة اليمنية تقف عاجزة أمام دولة الحوثيين غير المعلنة، فشحنات الأسلحة الإيرانية التي تتدفق عليهم هل ستكون لمعركة ممانعة ومقاومة مع إسرائيل! وفي البحرين نتساءل: هل يفكر أتباع الولي الفقيه في طهران بجعل المنامة جبهة حرب ومواجهة مع إسرائيل ولذلك يكدسون السلاح فيها؟ وفي لبنان لم نجد حزب الله يخرق خط الهدنة أو الحدود مع إسرائيل لكنه خرق حرمة السرايا الحكومية في بيروت التي اجتاحها، ونجد الضاحية الجنوبية لا تُطبَّق عليها القوانين اللبنانية سواء على المستوى الأمني أو الخدماتي البلدياتي، كما أن حزب الله لم يتورع عن خرق الحدود لقتال الشعب السوري الشقيق. وفي العراق هل يمكن لأحد أن يجد دورا حقيقيا للميلشيات الطائفية الشيعية في مقاومة الاحتلال الأمريكي مقارنة مع جرائمها البشعة بحق إخوانهم العراقيين السنة؟

٥- أمريكا مَن تحارب حقيقة في المنطقة؟ وهل فعلاً أمريكا تقوم بمحاربة إيران وأذرعها؟

نحن نسمع بشكل دائم عن ضربات للطائرات الأمريكية بطيار وبدون طيار ضد تنظيم القاعدة في اليمن، لكن أمريكا لم تضرب الحوثيين هناك برغم تمردهم المتكرر على الدولة وتسلحهم، وعدوانهم على السعودية؟

في الأسبوع الماضي في البحرين توجه موفد الرئيس الأمريكي أوباما من المطار لمقابلة الزعيم الشيعي عيسي قاسم والاطمئنان عليه وتفهم مطالبه، بينما لم يكلف نفسه بمقابلة الطرف السني، لا الشعبي ولا الحكومي، ثم يتشدق شيعة البحرين بشعارات المظلومية ومحاربة أمريكا.

أما في العراق فأهل السنة في الشارع منذ خمسة شهور ولا أحد يهتم بهم لا من العرب ولا من أمريكا ولا من غيرهم، ويتم تفجيرهم واغتيالهم دون أن يكترث العالم، ومهما طال انتظارهم فلن يأتي مبعوث أوباما إليهم!

وفي الوقت الذي يحاصِر فيه شبيحة حزب الله القصير ويقصفونها ليل نهار ويستنجد أهلها الدعم والإغاثة، ينشغل الأمريكان بحرب جبهة النصرة وأخواتها في سوريا دون اكتراث بدماء السوريين بحسب تصريحات قادة الجيش الحر الذين يئسوا من الدعم الدولي ونفضوا أيديهم منه!

وفي الوقت الذي تتابع فيه أمريكا كل التحركات السنية في مصر وتونس وليبيا وسوريا وتعترض وتطالب الأنظمة بالتدخل ضدها، بينما حزب الله بكل جرائمة في سوريا والعالم - كما تكشف مؤخرا نشاطاته الإرهابية في أمريكا اللاتينية - ما زالت أوربا تدرس هل يصنف كمنظمة إرهابية أم لا، أما دول الخليج فبالأمس فقط اعتبرته إرهابياً وهي التي اكتوت بناره منذ نشأته في الثمانينات!!

٦- ديمقراطية التشبيح! كم كانت سمجة نصيحة الشبيح بشار المجرم للزعيم التركي الشريف والوطني الطيب أردغان بالاستجابة لمطالب شعبه والتنحي عن رئاسة الوزراء، لأن العقل والمنطق يقتضيان أنه إذا كان يحق لمعارضي أردوغان من الشيوعيين المطالبة برحيله برغم كل الإنجازات التي حققها، فإنه يحق للشعب السوري لا أن يطالب بتنحي الأسد بل يحق لهم (فرم) آل الأسد كلهم الأحياء منهم والأموات على جرائمهم البشعة بحق الشعب السوري.

ولكن إيران وأذرعها تحارب الديمقراطية في أرضها وتحكم بالحديد والنار، ولكنها تستغل الديمقراطية عند خصومها حتى آخر قطرة، ومن هنا رأينا جرأة السفارة العراقية على عقد مهرجان بدون إذن رسمي، وبعد ذلك ضرب مواطنين أردنيين دون أن يرف لهم جفن أو تهتز لهم شعرة، وسبقهم في ذلك كبير الشبيحة في عمان بهجت سليمان الذي يشغل منصب سفير في الأردن !

صراعة هوية وليس صراع أشجار

محمد أعصام هسبريس - ٢٠١٣/٦/٥

بعد البيان الذي نشرته الجمعية المغربية لحقوق الإنسان حول زيارة أردوغان، إضافة إلى صورة لأحد المناضلين الجدد وهو يرفع لافتة يصفه بالمجرم، رأيت لزاما علي أن أوضح ما يجري في تركيا من منطلق أنني مقيم فيها، ومتتبع للأحداث منذ بدايتها، أولا أود أن أفند شائعة ذكرها بيان الجمعية حيث أنه لم تتم أي حالة وفاة أبدا، وهنا أود أن أعرف هل صارت الجمعية تقوم بالمعارضة بالوكالة فمرة تساند الانفصاليين ومرة تساند بشار وهي الآن تتدخل في الشأن التركي الداخلي.

وكما لايخفى على أحد أن العالم العربي المضلل إعلاميا قد تفاجأ بحجم المظاهرات التي شهدتها مدينة اسطنبول وباقي مدن تركيا، وفسرت هاته المظاهرات على أنها بداية لربيع تركي، فصدق الإعلام العربي هذه الاكذوبة، وصار يروج صورة أردوغان الدكتاتور الذي يقمع شعبه بعنف لرفضهم إزالة منتزه وبناء منتزه آخر فوقه، لتتدخل أمريكا وروسيا والنظام الأسدي مطالبين أردوغان الانصات لشعبه.

لكن التضليل الاعلامي لم يقتصر فقط على الإعلام العربي، فإعلام المعارضة بتركيا روج لمجموعة من الأكاذيب والمغالطات إضافة إلى صفحات الفايسبوك والتويتر حيث تم نشر صور لتدخلات عنيفة لشرطة في قمع المتظاهرين على أنها بتركيا، لكن الحقيقة أنها أحداث وقعت في مصر وأوروبا الشرقية لكن الخطير هذه المرة هو انخراط قيادات المعارضة على أعلى مستوى في ترويج هذه الأكاذيب وكان آخرها أنه في برنامج متلفز لقناة معروفة بدعمها لبشار وللمعارضة العلمانية، فبعد انتهاء الحلقة نسي المقدم إغلاق الميكرفون وهو يحاور ضيوفه حيث قال أنه كان يتمنى لو قتل بعض المتضاهرين حتى تتأزم الأوضاع.

الاحداث بدأت مع إقرار بلدية اسطنول مشروعا ضخما قبل سنة للإعادة هيكلة منتزه «غازى» الواقع فى ميدان «تقسيم» أشهر ساحة في اسطنبول لكن بعض جمعيات حماية البيئة عارضت المشروع لأنه سوف يكون على حساب إزالة العشرات من الأشجار بالمنتزه، وبدؤوا باحتجاجات رمزية وجد محدودة، لكن لما بدء قطع بعض الأشجار نظّم عددٌ من المعارضين إعتصاماً داخل المنتزه مما أدى بالشرطة إلى فض الاعتصام بالقوة مستعملة قنابل الغاز وخراطيم المياه لتفريقهم، غير أن التدخل العنيف للشرطة خلق تعاطفا كبيرا مع المتظاهرين لتستغل قيادة الحزب الجمهوري الذي أسسه مصطفى كمال اتاتورك وبعض قيادة اليسار المتطرف الفرصة ليطلبوا من أنصارهم النزول إلى الساحات مطالبين باسقاط أردوغان وحكومته بعد عجزهم عن إسقاطه في صناديق الانتخابات، لكن غالبية الأتراك استغربوا من موقف المعارضة لأنه معروف أن اعضائهم قد صوتوا لصالح المشروع أثناء مناقشته بالبلدية.

الصراع الشرس بين الحكومة والمعارضة بدأ منذ أن فاز حزب العدالة والتنمية برئاسة الوزراء، فخلال حكمهم شهدت تركيا نموا اقتصاديا كبيرا واستقرارا اجتماعيا إضافة إلى تصالح الأتراك مع ماضيهم، إضافة الى اتساع الحريات الدينية بشكل كبير مما جعل الحزب الحاكم يكتسح جميع الانتخابات المقامة في تركيا منذ أكثر من عشر سنوات، إضافة إلى أنه ومنذ أكثر من ٣٠ سنة من الصراع مع الأكراد تمكنت الحكومة من حل القضية الكردية ودخلت في مفاوضات مع الحزب العمال الكردستاني مما أدى ازدياد شعبيته وتراجع عدد منتقديه، وهنا اود ان اضيف ان الحكومة قد بدات في اشغال ٢١ مشروع ضخم على اساس اتمامه في ٢٠٢٣ في ذكرى تاسيس الجمهورية. وميزانية هذه المشاريع حسب المسؤولين الاتراك تفوق ميزانية ١٣٠ دولة مجتمعة. وأمام هذه الانجازات بدأت المعارضة باتهام الحكومة بمحاولة أسلمة الدولة، وبأن الحكومة تحاول التدخل في الحياة الخاصة للمواطنين،

حيث أنه ليلة الأحداث البرلمان التركي قانون يفرض قيود أكثر صرامة على مبيعات الخمر حيث

سوف يمنع بيعه في محيط ١٠٠ متر للمؤسسات التعليمية ودور العبادة، إضافة إلى سن قانون يشجع الأسر التركية على الانجاب حيث ستخصم سنتين من سن التقاعد للأم مقابل كل ولد تنجبه، وكما يعرف الجميع حساسية مواضيع كثيرة النسل بالنسبة للعلمانين.

لكن الأزمة الحقيقة هي أن تركيا مقبلة على انتخابات محلية لذلك فالمعارضة تستغل الأحداث لزيادة شعبيتها فتركيا الآن تعيش نقاشا حادا حول مواد الدستور المزمع عرضه على الشعب التركي للتصويت، والذي يطمح من خلاله أردوغان إلى تحويل نظام البلاد من نظام برلماني إلى نظام جمهوري ليتمكن اردوغان ورفاقه الممنوعون قانونيا من الترشح لمرة ثالثة من الاستمرار في السلطة عن طريق الترشح لرئاسة الدولة.

وخلاصة القول أن ما يقع في تركيا هو صراع العلمانيين والإسلاميين على هوية تركية، هل تظل دولة علمانية كما أرادها أتاتورك أم ستعود دولة إسلامية؟.

عقوبات الخليج ضد حزب الله

عبد الرحمن الراشد - الشرق الأوسط ٢٠١٣/٦/٤

مصالح حزب الله في المنطقة العربية، وتحديدا دول الخليج العربية، ليست بالصغيرة. الحزب، الذي أصبح مبغوضا، ربما أكثر من إسرائيل، له صلات عريقة وعميقة في المنطقة من خلال تعاملات شركات تعمل له هناك تحت أغطية مختلفة. وقد أظهرت عمليات الملاحقة له في الولايات المتحدة، تعدد تجارة حزب الله هناك، من تهريب السجائر إلى تحويل الأموال، مع شبكات معقدة من الأفراد الذين يستخدمون لأغراض اقتصادية وبعضها سياسية.

ودول الخليج الست ليست متشابهة في درجة تعاملاتها مع حزب الله؛ هناك السعودية والإمارات والبحرين أكثر تشددا، ورقابة للتعاملات. أما الكويت أكثر دول الخليج تساهلا مع حزب الله، ولها شركات ومجموعات اقتصادية تنشط تجاريا وإنشائيا في مناطق حزب الله في لبنان. وليس لقطر شركات تجارية كما هو الحال في الدول الخليجية بمعناها المتعدد والكبير، لكن قطر كانت أكثر الدول الخليجية دعما ماديا وسياسيا لحزب الله عقدا كاملا، هذا كان قبل الثورة السورية ومن المستبعد أن يكون قد بقي شيء من هذه العلاقة الخاصة. سلطنة عمان أكثر الدول الست حذرا بشكل عام مع كل الدول المشتبه فيها دوليا.

ومع أن حزب الله متورط في أعمال إرهابية ضد الكويت والسعودية والبحرين منذ عقود إلا أن هذه الدول لم تفعل شيئا ضده. حزب الله تورط بشكل كامل في محاولة اغتيال أمير الكويت بتفجير سيارة مفخخة عام ١٩٨٥. المدان الرئيس في تلك الجريمة مصطفى بدر الدين، هو الفاعل وهو أيضا المطلوب للمحكمة الدولية في اغتيال رفيق الحريري. المفارقة أن صدام حسين أطلق سراحه بعد اجتياحه الكويت لخمس سنوات لاحقة! أيضا، قام فريق من حزب الله بخطف طائرة كويتية في مسقط وقتل راكبين كويتيين. وتم ضبط مخططات إرهابية لحزب الله في أعمال إرهاب في السعودية والبحرين، وكلها ذهبت بلا عقوبات. فقط الولايات المتحدة التي صنفت حزب الله منظمة إرهابية مبكرا، وذلك في عام ١٩٩٥ ووضعته على لائحة العقوبات. دول الخليج اختارت السكوت عن جرائم الحزب ضد حكوماتها ومواطنيها لأنه كان يصنف منظمة مقاومة ويحظى بشعبية في الشارع العربي، في حين كان دائما ذراعا للحرس الثوري الإيراني. أيضا، رغبت هذه الدول في الحفاظ على التوازن بين القوى في لبنان، وأبقت على علاقة تمثل الحد الأدنى مع حزب الله دعما للسلم الأهلي هناك.

أخيرا، قررت دول الخليج تصنيف حزب الله منظمة إرهابية بعد أن أصبح طرفا رئيسا في قتل آلاف المدنيين في سوريا، يحارب إلى جانب نظام بشار الأسد. ومع أنها خطوة متأخرة إلا أنني أشك

أنه سيتم تطبيقها حقا على مستويات مختلفة، وستبقى قرارا سياسيا.

أميركا.. وشرعنة الإرهاب الشيعي

عبد العزيز بن عثمان بن صقر - الشرق الأوسط ٢٠١٣/٦/١٠

بداية، لماذا سارعت الأنظمة السياسية، والأجهزة الأمنية الغربية إلى وصف «جبهة النصرة لأهل الشام» من دون تردد أو تأخير بأنها منظمة إرهابية، وعدم تسمية ميليشيات حزب الله اللبناني التي ارتكبت عدوانا فاضحا بعبور الحدود الدولية وذبح الشعب السوري على أرضه بشكل علني بأنها ميليشيات إرهابية؟! هذا التساؤل لم يصدر عن رغبة في إعادة الاعتبار إلى جبهة النصرة، أو إلى أي مجموعة متطرفة أخرى، بل جاء في سياق تساؤل حول ازدواجية المعايير التي تتحكم في المواقف الأميركية والغربية في تصنيف الإرهاب.

المثير للدهشة والاستغراب أن الرئيس الفرنسي فرنسوا هولاند طالب مؤخرا من الاتحاد الأوروبي وضع «الجناح العسكري» لحزب الله على لائحة المنظمات الإرهابية في فصل واضح ومتعمد بين الحزب وميليشياته المسلحة، فهل هناك وجود أصلا لحزب الله بمعزل عن سلاحه وميليشياته العسكرية؟ ولماذا هذا التخاذل الغربي، والمراوغة وطمس الحقائق؟

نعلم أن هناك خيطا رفيعا جدا في تصنيف الغرب لأي منظمة أو مجموعة بأنها إرهابية وأخرى بأنها منظمة مقاومة مشروعة، وهذا الأمر يعود إلى مصالح وأهداف من يقوم بالتصنيف، وإلا كيف لا يعد عبور ميليشيات مدججة بكل أنواع الأسلحة والذخائر الحدود الدولية، والاعتداء على الشعب السوري، وقتل وترويع الآلاف من المدنيين العزل في بيوتهم وقراهم داخل وطنهم إرهابا؟

المؤكد أن حزب الله هو ذراع إيران في الإرهاب والابتزاز والترويع بعد أن سقطت عنه ورقة التوت التي كان يتستر بها ويدعي أنه حركة مقاومة للاحتلال الإسرائيلي في لبنان، هذا الادعاء الذي ساندته ووقفت معه في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي دول مجلس التعاون الخليجي انطلاقا من حسن النيات، فقد عارضت هذه الدول جميع المحاولات لوصم حزب الله بالإرهاب ووقفت في ذلك معها معظم الدول العربية والإسلامية، ولذلك تغاضت عن ارتباطه العضوي بأجهزة المخابرات الإيرانية، وعن سعي قيادة الحزب لتأسيس دولة داخل الدولة اللبنانية، أو حتى فوقها، ولكن تدخل الحزب في الصراع الدائر على الأرض السورية، هو فعل إجرامي فاق جميع التصورات ويمثل نقطة تحول جوهرية في طبيعة الحزب من منظمة مقاومة إلى منظمة إرهابية.

إذا كان تنظيم القاعدة قد شكل دولة في أفغانستان ما قبل اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، فإن حزب الله الذي يشكل دولة داخل الدولة اللبنانية لا يهدد فقط أمن واستقرار لبنان فحسب بل جميع دول المنطقة، وإذا كان تنظيم القاعدة يمتلك أسلحة بسيطة، فإن حزب الله يمتلك الآلاف من الصواريخ والقذائف وأحدث ما أنتجته التكنولوجيا العسكرية، وإذا كان تنظيم القاعدة يجند بعض شباب أهل السنة هنا وهناك، فإن حزب الله يجند من الشباب الشيعي في جميع الأرجاء التي تنتشر فيها المجتمعات الشيعية سواء في لبنان، أوالعراق، أوالبحرين، وغيرها، بل من جميع دول العالم التي تحتضن طائفة شيعية مثل دول شرق أفريقيا، وأميركا اللاتينية، وأوروبا، وإذا كان تنظيم القاعدة يقوم بعمليات غسيل عقول الشباب وزرع نزعة التطرف داخلهم، فإن حزب الله يزود الشباب الشيعي بجوازات سفر إلى الجنة على حد

زعمه لضمان تجنيدهم في صفوفه، وإذا كانت أذرع تنظيم القاعدة تمتد إلى دول متعددة، فإن حزب الله لا يقف بعيدا عن هذه الممارسة وإذا كان مصدر الحكم الغربي السلبي على تنظيم القاعدة مرده أن التنظيم استهل نشاطه الإرهابي بمهاجمة سفارات أميركا في نيروبي ودار السلام، فإن حزب الله بدأ نشاطه الإرهابي بمهاجمة السفارات الأميركية والفرنسية في بيروت إلى جانب مقر قيادة قوات مشاة البحرية، وله يد مباشرة في مهاجمة مقر القيادة الأميركية في مدينة الخبر السعودية.

إن تنظيم القاعدة لا تحتضنه أي دولة ولا يوجد من يوفر له الغطاء، بل تحاربه جميع دول المنطقة، وعلى رأسها دول الخليج العربي، وعناصره تملأ سجون المنطقة والعالم، في حين أن حزب الله، وبفضل الدعم الإيراني يتمتع ببحر من الامتيازات بما لا تتمتع به دول، وميزانيته المالية تفوق ميزانيات عدد من الدول الأفريقية، وسلاحه يفوق قدرات عدة دول ومنها دولته لبنان، وإعلامه يصدح عاليا دون رقيب، وصناع القرار في العالم يستقبلون قياداته باعتبارهم قيادات شرعية.

عند العودة إلى الموقف الأميركي - الغربي المتساهل مع الإرهاب الشيعي نجد أنه لا يتوقف عند التعامل بهذا الشكل مع حزب الله اللبناني فقط ، فالعالم الغربي يتغاضى متعمدا عن الأحزاب العراقية الشيعية التي مارست الإرهاب علانية، وكانت تفتخر بأنه يمثل جزءا من «تاريخها النضالي» ، فحزب الدعوة الإسلامية الحاكم في بغداد تحت الحماية الأميركية مارس الإرهاب بأمر قياداته الإرهابية التي تتولى اليوم زمام السلطة في بغداد، وحتى يوم وصول الحزب إلى سدة الحكم على ظهر الدبابات الأميركية كان موقع الحزب الإلكتروني يضم قائمة طويلة من الأعمال الإرهابية التي نفذها الحزب ضد أهداف عراقية وعربية خلال الحرب العراقية - الإيرانية دعما للمجهود الحربي الإيراني ضد وطنه العراق. إن التردد الأوروبي في تصنيف حزب الله بأنه منظمة إرهابية ليس مرده قلة المعلومات التي تؤكد طبيعته الإرهابية، بل الخوف من الغضب الإيراني، فهو موقف مصالح وليس موقف مبادئ، ويخلو تماما من المنطق والعقلانية، والعدالة. فمنذ ظهور تنظيم القاعدة في منتصف التسعينات، وخصوصا بعد تنفيذ اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر، أمسى مصطلح الإرهاب في قواميس الغرب ملازما لأهل السنة وحكرا عليهم، ونحن مع إدراج جميع المنظمات الإرهابية على قائمة الإرهاب ومحاربتها دون هوادة، لأننا ننطلق من مبدأ أن الإرهاب عمل إجرامي لا دين ولا طائفة له، لكننا ضد الانتقائية، وأن تكون المصالح، وليس الحقائق هي المعيار، ومن الغريب أن موقف الدول الغربية اليوم يتبع أسس تفكير القاعدة في تقسيم الإرهاب إلى إرهاب «محمود»، وإرهاب «مذموم»، وأن الإرهاب الذي يمارسه من يدعون الانتماء لمذهب أهل السنة هو إرهاب خطير ويعد «تهديدا للأمن والاستقرار الدولي»، وإرهاب الجماعات الشيعية المتطرفة هو «تصرفات خاطئة» تستحق الإدانة وليس العقاب!

ما نشاهده اليوم في السياسة الأميركية، والغربية يؤكد الاستقواء على «الإرهاب السني» والتخاذل أمام «الإرهاب الشيعي»، والكيل بمكيالين وتبني المواقف المزدوجة.